الرمز صلاح الدين وركب الفاتحين

من سفوح قاسيون الى ربى الزيتون

ابراهيم فاضل الناصري



الرمز صلاح الدين وركب الفاتحين

من سفوح قاسيون الى ربى الزيتون

الرمز صلاح الدين وركب الفاتحين

من سفوح قاسيون الى ربى الزيتون

المؤرخ

ابراهيم فاضل الناصري

2021م



المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(2020/2/811)

956.0552

الناصري ، ابراهيم فاضل

الرمز صلاح الدين وركب الفاتحين من سفوح قاسيون الى ربى الزيتون/ ابراهيم فاضل الناصري – عمان، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع 2020.

( ) ص:

ر.إ: 2020/2/811

الوصفات: /بيت المقدس// الفتوحات الاسلامية// القائد صلاح الدين الايوبي// التاريخ العسكري// التاريخ الاسلامي/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

- 978-9923-24-054-0

الطبعة الأولى: 2021




+962797135504
+962780080648

 Dar ibn alnafees

 dar_ibnalnafees@yahoo.com  alnafees02@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

الأنعام: ٤٥

صدق الله العظيم

الاهداء

الى

زهرة مدائن المؤمنين

القدس العتيقة

أولى القبلتين وثالث الحرمين



إبراهيم الناصري

المقدمة

إن لدراسة التاريخ الإنساني بصورة عامة والتاريخ العسكري بصورة خاصة من أهمية تربوية لما تبرز من قيمة تربوية وتطويرية ولما تقوم به من تأهيل الإحساس الفكري والعسكري في التحكم بالفنون القتالية وتساعد على استقراء العبر واستنباط الدروس والمبادئ خاصة واننا نعيش حالة صراع مصيرية ضد موجات الغزو والاستعمار المختلفة والمتتالية التي تريد النيل من امتنا الامر الذي يجعلنا بأمسِ الحاجة الى مراجعة التاريخ الحربي لنستقي منه العبر. لان التاريخ دائما يعيد نفسه بقوانين حية من خلال تشابه احداث الماضي بأحداث الحاضر فبالأمس كان الصراع نفسه بين امتنا وبين المستعمرين وليس هنالك اختلاف بين أوجه الغزاة إلا في الأسلوب الذي يتغير بتغير والمواقف.

لقد تناولت في دراستي التاريخية هذه والموسومة (الرمز صلاح الدين وركب الفاتحين من سفوح قاسيون الى ربى الزيتون) معالجة وصلة من تاريخ امتنا البطولي الطويل والتي تتمثل بزمن معارك التحرير التي قام بها القائد صلاح الدين الايوبي في سبيل تحقيق شعار (الكفاح من اجل القدس وتحريرها من براثن الغزو الصليبي) ولقد استخدمت اسم جبل (قاسيون) للدلالة على دمشق قاعدة انطلاق حملة صلاح الدين كونه يشكل

علامتها الفارقة كما واستخدمت اسم جبل الزيتون للدلالة على القدس العتيقة كونه يشكل اعلى جبالها.

وان سبب اختياري للموضوع مادة لكتابي كونه يعالج قضية الغزو الأوربي للأرض العربية وهذه القضية تمثل تجربة عظيمة وهائلة في تاريخ الشرق والغرب وصورة حية للصراع المسلح بين العرب وبين اعداؤهم حيث يعيد التاريخ نفسه في عصرنا الحالي حيث تواجه الأمتين العربية والإسلامية عدة هجمات شرسة قد كان اولها اغتصاب فلسطين في عام 1948م .

كما وان التاريخ يعيد نفسه في الأسلوب الاستعماري الذي تبلوره القوة الغازية حيث بالأمس كانت مستعمرات الفرنجة التي أُرِيد بواسطتها قطع الصلة بين كفتي الدولة العربية الإسلامية وابرزها مستعمرتي الكرك والشوبك الواقعة على الطريق الذي يربط الأرض المصرية مع بلاد الشام واليوم قامت المستعمرة الإسرائيلية على نفس المكان ولنفس الغرض ولذات الجهات التي ساندت في الامس حملات الغزاة من الفرنجة والصلبيين من الاوربيين.

وقبل ان انتهي من مقدمة هذا الكتاب لابد لي من ان اقدم جزيل شكري وخالص امتناني لكل من امد لي يد المساعدة والعون والله وراء قصد الامر.

ابراهيم فاضل الناصري

مدخل

تعتبر قضية فتح القدس الشريف، بلد الجبارين وفك اسر مسجدها المبارك(1) أولى القبلتين المباركتين وثالث الحرمين الشريفين من اهم وأكثر قضايا المصير التي شغلت الوجدان الجمعي للعرب وللمسلمين بعد الادراك اليقيني منهم بان قوى الغرب الصليبية التي تجثم على صدرها قد طال امدها بما يجعلها تصل الى الحد الذي تشكل وصمة عار تنتاب الذات الجمعية. الامر الذي دعا الى البحث عن زمان خلاصها وعن فارس هذا الخلاص خاصة وان مدينة القدس كانت قد حظيت ، وما تزال، بمكانة عظيمة في التاريخ الإنساني، وتميزت بخصوصية الزمان والمكان. فهي في الزمان ضاربة جذورها منذ الحضارة العربية الكنعانية، أما بالنسبة للمكان، فقد شملت الموقع والموضع، فكانت ملتقى الاتصال والتواصل بين قارات العالم القديم، تعاقبت عليها الحضارات، وأَمّتها الجماعات البشرية المختلفة، مخلفة وراءها آثارها ومخطوطاتها الأثرية، التي جسدت الملاحم والحضارة والتاريخ، دلالة على عظم وقدسية المكان ولابد أن يكون لمثل هذه الظاهرة الحضارية الفذة أسباب ومبررات، هي سر خلودها واستمرارها آلاف السنين، رغم كل ما حل بها من نكبات وحروب.

ومما لاشك فيه ان شخصية الفاتح النبيل السلطان صلاح الدين كانت قد لمع بريقها بما يداعب الآمال وصارت تتجلى كونها المنقذ المنتظر والحادي

المرتجى للحالمين من العرب والمسلمين الذين حلموا في يعاصروا من سيجيء به القدر فيتحمل اعباء فتح القدس وتحرير المسجد الأقصى على عاتقه.

سيما وان شخصيته النبيلة الفذة التي اظهرته وهو في مبتدأ اشعاعه نبلا وفروسية من أكثر الشخصيات التاريخية في تاريخ المسلمين حظوة بالقبول والتخويل المطلق لإنجاز مهمة فتحها وتطهيرها واسترجاعها قمرا منيرا في فضاء دولة الإسلام ومنبرا من منابر قدسية العرب انما قد تميزت برصيد أخلاقي كبير ساعده على تحقيق أهدافه العظيمة والتي من أهمها؛ الشجاعة، والكرم، والوفاء والتسامح، والحلم، والعدل والعفو، والمروءة، وشدة لجوئه إلى الله، ومحبته للجهاد، وصبره واحتسابه، وحرصه على العلم، والتواضع.. إلخ..

الحال الذي مخض انجاز ملحمة الفتح الاغر التي نؤرخ لها هنا في هذا الكتاب والذي يأتي عنوانه بترميزين مكانيين دلاليين الأول وهو قاسيون واقصد به الجبل الذي تتفيأ بظلاله دمشق ويجيء للدلالة على مدينة دمشق كونها مكان انطلاق حملة الفاتح والثاني وهو الزيتون واقصد به جبل الزيتون الذي يعد الايقونة التراثية للقدس يجيء للدلالة على مدينة القدس غاية الحملة.

وان هي الا مجموع ملاحم فروسية تتوالى وهمم نبل تتعالى حتى دخل الفارس السلطان صلاح الدين حادي ركب الفرسان مدينة القدس العتيقة حاضنة أولى القبلتين وثالث الحرمين محرّراً وفاتحا، بعد ثمانية وثمانين عاماً من الغزو والاحتلال الأجنبي. ويجمع المؤرخون على أنّه قد جاسها ودخلها صلحاً، احتراماً لقدسيّتها وحرصاً على معالمها وتعبيرا عما يحمله من عقيدة سمحة.



الرمز صلاح الدين الايوبي

هو السلطان القائد أبو المظفر يوسف صلاح الدين بن الامير الأفضل أبو الشكر نجم الدين أيوب بن الأمير شاذي بن مراون الدويني التكريتي (2) والذي قالت فيه الموسوعة البريطانية كونه اشهر بطل إسلامي في كل العصور.

ولد بين ثنايا قلعة مدينة تكريت (3) التاريخية التي كان يحكمها ابوه الأمير نجم الدين أيوب وجاء عن تاريخ ولادته لدى ثقاة المؤرخين انها حصلت في بقية سنة 532هجرية/ 1137م وتقريبا مني لهذا التقدير اجد ان ولادته هي في يوم الخميس 30 ذو الحجة الموافق ليوم 8 أيلول / سبتمبر 1138م (4).

ثم كانت نشأته الأولى في ظل اسوار قلعة بعلبك(5) التاريخية العتيقة، وفي كنف ابيه الأمير الذي اصبح حاكما عليها للزنكيين بعد تركه لحكم قلعة تكريت. وفي طفولته التي عاشها في بعلبك بكنف اهله تلقى تعليمه الديني على يد مشايخ علماءها ثم شب على حب الفروسية والمبارزة واتقان الفنون الحربية. وفي سنة 1152م شارك مع اباه وعمه في بعض من غزواتهم المحلية في ارض الجزيرة الفراتية. ثم خلف في سنة 1156م اخاه الاسن منه تورانشاه كنائب لعمه في ديوان الجيش بدمشق ثم صحبه عمه الوزير اسد الدين شيركوه الى مصر حينما تقلد وزارتها من قبل الفاطميين ثم ما

فتيء في عام 564هـ ان تقلد وزارة مصر بعد موت عمه ثم بعد ثلاث سنين من توزره هيئت الاقدار له الأجواء لان يكون سلطان مصر ومن ثم يبتدئ سفر المجد لتحقيق احلامه وتطلعاته الكبرى في تحرير الأراضي المغتصبة من قبل الفرنجة والاوربيين في مصر والشام ولقد ابتدأ المشوار بتأسيس قاعدة مكينة ثم انتهى المشوار بتحريره للقدس الشريف بعد تحرير كافة الأراضي المغتصبة التي حوله او على طريقه جراء خوضه لمعارك تاريخية فاصلة تأتي في مقدمتها معركة حطين. توفي في ليلة الأربعاء 27 من صفر عام 589هـ / 4 اذار 1193م في دمشق(6).

هذا كان التعريف العام ببطاقته الشخصية واما عن وصف شخصيته بحسب منظار التاريخ فالحق يقال بانه يعد من الشخصيات الضرورة في تاريخنا والتي ما يزال أثرها حتى يومنا هذا لما أبرزته من مواقف بطولية وسطرت صفحاته بإنجازاتها المتمثلة بالوحدة والإرادة والتصميم وإعادة الهيبة للأمة فقد كان من لك الطراز من الرجال ، رجلٌ أُمَّة وراعي عقيدة. وهو إحدى معجزات دولة الإسلام الباهرة، وإحدى آيات مجدها الظاهرة.. فهو كان قد شغل زمانه وغير زمانه وسالت في رسمه صفحات.. بعضها بأقلام عربية، وأكثرها بأقلام غربية.. نظر إليه العرب والمسلمون نظرتهم إلى بطل من أبطال التاريخ، وقف في وجه الدول الغربية، وحارب كل عمره في نصرة العرب والإسلام، وسياسي من ألمع السياسيين، حتى غدا رمزاً

وشعاراً من شعارات النضال والكفاح. كانت حروبه أشبه بفتوحات جديدة شبيهة بفتوحات العرب الأولى. ونظر إليه الغربيون نظرتهم إلى فارس كل العصور ، فأنشأوا فيه الكتب .. وما نظن أن شرقياً شغل المؤرخين الغربيين بعد النبي المعظم صلى الله عليه وسلم كما شغلهم صلاح الدين... عرف في كتب التاريخ ،انه فارس نبيل وبطل شجاع وقائد من أفضل من عرفتهم البشرية وشهد بأخلاقه أعداؤه قبل أصدقائه وكاتبوا سيرته، إنه نموذج فذ لشخصية عملاقة من صنع الإسلام، كان مؤمنا عظيم الصفات ، تقيا ، ورعا ، صابرا، شجاعا، عادلا، كريما سخيا، حليما، يعفو عند المقدرة ، ولم يخلف ملكا ولا عقارا ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئا مدرارا. كان محبا لسماع القرآن والحديث النبوي ، لا بل إنه كان يذهب إلى العلماء الذين يرفضون طرق أبواب السلاطين ويتردد عليهم. كان الجهاد في سبيل الله شغله الشاغل وقد استولى حبّه للجهاد على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيما بحيث ما كان له حديث إلا فيه ، ولا نظر إلا في آلته ولا اهتمام إلا برجاله ، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحثّ عليه ، وقد هجر في محبّة الجهاد أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر بلاده ، وقنع من الدنيا بالسكون في ظلّ خيمة تهبّ بها الريح ميمنة وميسرة... كان كريما يعطي في وقت الضيق كما يعطي في حال السّعة ويحفل تراث الانسانية بقصص في البطولة ، والتضحية من أجل الدّين والملّة. كان شجاعا مقداما في الحرب ، برغم أنّه كان رحيما ، كبير القلب. كانت سيرته ومازالت غنيّة

بأحداثها الجسام ، وفتوحها العظام ، سيرة مجاهد قدّم كل ما يملك في سبيل الله ومن أجل إعزاز دينه وحفظ مقدساته واستعادة أولى القبلتين وثالث الحرمين....أذهلنا سيفه كما أذهلنا شخصه. ربما كانت دعوة مستجابة أو نية مخلصة صادقة أدت الى ظهوره وتمام دوره. اذ ان الشرق في عهده لم يكن يصلح له الا رجل مثله له نفس كنفسه وعزيمة كعزيمته ملك في رجل ورجل في ملك. في أوروبا، ظلّ صلاح الدين ذاك المقاتل الذي انتصر بكرمه وتسامحه، وعلّم المسيحيين "حقيقة خطيرة"، وهي "أنّ محمدياً بوسعه أن يولد فارساً بطهر القلب وعزّة النفس"، كما كتب جول ميشليه.

مدينة القدس العتيقة

القدس مدينة تاريخية عربية مقدسة، ويعني اسمها المدينة الطهور، وهي في جوهرها الاعتباري الروحي انما تشكل قلب الحضارات وملتقى المعتقدات كونها البلدة المتفردة التي تجتمع فيها رمزية الأديان السماوية فهي العين التي استقى منها موسى عليه السلام ، والدرب الذي شهد الآم المسيح عليه السلام ، وهي معراج نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم انها تتعدى ذلك بكثير فهي عاصمة السماء ومدينة الروح فضلا على انها مهد الديانات السماوية الثلاثة، اليهودية والنصرانية والإسلام. ولعلني لا ابالغ ان قلت انه لم تحظ مدينة من مدن العالم بما حظيت به مدينة القدس من المكانة العالية في نفوس كل أجناس البشر، فهي مدينة جمعت آثارًا مقدسة منذ أربعة آلاف سنة، وهذه الآثار كان لكل جنس من الأجناس فيها حكاية مع أثر. كما وانها تحتل مكانة مرموقة في وجدان كل أصحاب الديانات، فهي عند المسلمين أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبي عليه الصلاة والسلام، وهي عند النصارى مهد المسيح ومكان مولده، وهي عند اليهود المكان الذي عاش فيه ملوكهم وقامت مقدساتهم.

عرفت القدس بأسماء عديدة على مر العصور كان من أهمها، يبوس، أورساليم، إيليا كابتولينا، إيلياء، بيت المقدس، القدس العتيقة، القدس الشريف ، مدينة الله، ، مدينة العدل، مدينة السلام. وتتجلّى أحداثها

التاريخية في الأسماء المتعددة التي أطلقت عليها عبر العصور. فأقدم اسم معروف لها هو «أورساليم» نسبة إلى الإله شالم أي إله السلام لدى الكنعانيين، ووردت باسم « روشاليموم» في الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللعنة التي يرجع تاريخها إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، اما يبوس فهو الاسم الأقدم الذي عرفت به قبل حوالي (4500) سنة، وذلك نسبة لليبوسيين الذين ينحدرون من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية، ويعتبر اليبوسيون السكان الأصليون للقدس، فهم أول من سكنها حينما نزحوا إليها مع من نزح من القبائل العربية الكنعانية حوالي سنة (2500 ق.م)، حيث استولوا على التلال المشرفة على المدينة القديمة وبنوا قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية عرفت بحصن يبوس الذي يعرف بأقدم بناء في القدس، وذلك للدفاع عن المدينة وحمايتها من هجمات وغارات العبرانيين والمصريين (الفراعنة). ويلاحظ من دراسة النصوص الواردة لدى ابن سعد (ت230هـ) في طبقاته والبلاذري (ت 279هـ) في فتوحه، والطبري (ت310هـ) في تاريخه وغيرها من المؤلفات أن اسم إيلياء أو بيت المقدس هي التسمية المستخدمة للدلالة على مدينة القدس، حتى إن المطهّر بن طاهر المعروف بالمقدسي الذي صنف كتابه «البدء والتاريخ» نحو سنة 355هـ؛ لا يستخدم اسم القدس سوى مرة واحدة. أما المُقَدَّسي (نسبة إلى البيت المقدّس) فإنه لا يستخدم في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» الذي ألفه سنة 375هـ إلا

اسم إيلياء أو بيت المقدس، ويرى الباحثون أن السكان المحليين الذين كانوا يتكلمون الآرامية هم الذين كانوا يستخدمون اسم القدس؛ لأن القدس في الآرامية هي قُدشا Kudsha.

يرجع تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة من اليوم ، وهي بذلك تعد واحدة من أقدم مدن الانسانية. وبذلك تعتبر من أقدم المدن التاريخية في العالم، وتدل الأسماء الكثيرة التي أطلقت عليها على عمق هذا التاريخ.

سكنتها قبيلة اليبوسيين أحد البطون الكنعانية العربية- المدينة حوالي عام 2500 ق.م فأطلقوا عليها اسم يبوس نسبة لذلك الحدث.

ولقد خضعت للنفوذ المصري بدءا من القرن 16 ق.م. وفي عهد الملك إخناتون تعرضت لغزو "الخابيرو" وهم قبائل من البدو، ولم يستطع الحاكم المصري عبدي خيبا أن ينتصر عليهم، فظلت المدينة بأيديهم إلى أن عادت مرة أخرى للنفوذ المصري في عهد الملك سيتي الأول 1317 – 1301 ق.م.

ثم فتحها الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني بعد أن هزم آخر ملوك اليهود صدقيا بن يوشيا عام 586 ق.م، ونقل من بقي فيها من اليهود أسرى إلى بابل بمن فيهم الملك صدقيا نفسه.

كما استولى الإسكندر الأكبر على فلسطين بما فيها القدس عام 333 ق.م، وبعد وفاته استمر خلفاؤه المقدونيون والبطالمة في حكم المدينة، واستولى عليها في العام نفسه بطليموس وضمها مع فلسطين إلى مملكته في مصر عام 323 ق.م. ثم في عام 198 ق.م أصبحت تابعة للسلوقيين في سوريا بعد أن ضمها سيلوكس نيكاتور، وتأثر السكان في تلك الفترة بالحضارة الإغريقية.

وفي عام 63 ق م استولى عليها قائد الجيش الروماني بومبيجي وضمها إلى الإمبراطوية الرومانية. وشهد الحكم الروماني للقدس والذي استمر حتى عام 636م حوادث كثيرة، ففي الفترة من 66 إلى 70م قام اليهود في القدس بأعمال شغب وعصيان مدني قمعها الحاكم الروماني تيطس بالقوة فأحرق المدينة وأسر كثيراً من اليهود، وعادت الأمور إلى طبيعتها في ظل الاحتلال الروماني للمدينة المقدسة. ثم عاود اليهود التمرد وإعلان العصيان مرتين في عامي 115 و132م وتمكنوا بالفعل من السيطرة على المدينة، إلا أن الإمبراطور الروماني هدريان تعامل معهما بعنف وأسفر ذلك عن تدمير القدس للمرة الثانية، وأخرج اليهود المقيمين فيها ولم يُبق إلا المسيحيين، ثم أمر بتغيير اسم المدينة إلى "إيلياء" واشترط ألا يسكنها يهودي ولقد أدّى اعتناق "الإمبراطور قسطنطين" المسيحية في القرن الرابع الميلادي، إلى تغيير جذري في تاريخ المدينة، حيث أصدر في سنة

313م، مرسوماً يقضي بمنح المسيحيين حرية العبادة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت أورشليم مقدسة عند المسيحيين فسعى إليها الحجيج من كل مكان، وكثرت الكنائس ولا سيما في عهد الإمبراطورة "ايودك" 441– 460م.

وفي سنة 611م دخل ملك الفرس "كسرى الثاني" (أبرويز) على سوريا، واستمر في تقدمه، حتى احتل القدس في 614م، فدمر الكنائس والأماكن المقدسة، ولا سيما كنيسة "القبر المقدس"، وانضم من تبقى من اليهود إلى الفرس في حملتهم هذه ، وهكذا فقد البيزنطيون سيطرتهم على البلاد.

ولم يدم ذلك طويلاً، فقد أعاد الإمبراطور "هرقل" فتح فلسطين في سنة 628م.

وفي عام 621 م تقريباً شهدت زيارة النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم صعد إلى السماوات العلى من مسجدها الشريف . ثم جاء الفتح العربي الإسلامي ليفتح المدينة، وكان ذلك في معركة اليرموك سنة 636م، ودخلها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة 636 /15 هـ (أو 638م على اختلاف في المصادر) بعد أن انتصر الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح، واشترط البطريرك صفرونيوس أن يتسلم عمر المدينة بنفسه فكتب معهم "العهدة العمرية" وهي وثيقة منحتهم الحرية الدينية مقابل

الجزيـة. وغيـر اسـم المدينـة مـن إيليـاء إلـى القـدس، ونصـت الوثيقـة ألا يساكنهم أحد من اليهود.

واتخذت منذ ذلك الحين طابعها الإسلامي واهتم بها الأمويون (661 – 750م) والعباسيون (750 – 878م) وشـهدت نهضـة علميـة فـي مختلـف الميادين. ومن أهم الآثار الإسلامية في تلك الفترة مسجد قبة الصخرة الذي بنـاه عبد الملـك بـن مـروان فـي الفتـرة مـن 682 – 691م، وأعيـد بنـاء المسجد الأقصى عام 709م، وشهدت المدينة بعد ذلك عدم استقرار بسبب الصـراعات العسـكرية التـي نشـبت بـين العباسـيين والفـاطميين والقرامطـة، وخضعت القدس لحكم السلاجقة

ولقد احتلت مدينة القدس في الدولة الإسلامية منذ البداية مكاناً مهماً، فقد كانت قبلـة الإسـلام الأولـى، وإليها كـان إسراء النبـي، وقد أظهر الأمويون إجلالهم وتقديرهم لقدسية القدس، فقد أمر عبد الملك بن مروان سنة 72هـ، ببنـاء قبـة الصـخرة، ويذكر المقدسـي أن عبـد الملـك لمـا رأى عظـم كنيسـة القيامة وهيئتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين فبنى قبة الصخرة، كما أمر ببنـاء المسجد الأقصى الذي تم بناؤه في خلافة الوليد بن عبد الملك، واكتشفت نقوش معاصـرة لعبـد الملـك بـن مـروان بـالقرب مـن بيت المقدس تشير إلى أوامره بصنع الأميال(أحجار المسافات) وبعمارة أربع طرق تخرج مـن إيليـاء ومـن دمشـق، وتـوحي الأسـاسـات المتعددة للأبنيـة الأمويـة التـي

اكتشفت في الجنوب والجنوب الغربي من المسجد الأقصى خلال الحفريات التي تمت ما بين سنة 1976و1986 بأن المسلمين ربما أرادوا اتخاذ بيت المقدس مركزاً إدارياً لجند فلسطين، ولكن نظراً لعدم وجود ما يؤيد هذا الافتراض في المصادر التاريخية فإن الباحث لا يستطيع أن يعلل أسباب عدم إحرازها هذه المكانة،

وفي نطاق الدولة العباسية زار الخليفة العباسي المنصور بيت المقدس في سنة 140هـ/758م ، وصلىّ في مسجدها، وزارها ثانية في أثناء مرافقة الجيش الذي أرسله للقضاء على الثورة في المغرب، وزار المهدي بيت المقدس مع عدد من أفراد البيت العباسي سنة 163هـ، وأمر أن يعاد بناء المسجد الأقصى الذي كان قد تهدّم نتيجة لزلزال سنة 131هـ وكان للمسجد الذي أعيد بناؤه سنة 164هـ/780م سبعة أجنحة إلى شرقي جناح المحراب وسبعة إلى غربيه.

ثم ان القدس في الحقب التي سيطر فيها الطولونيين والاخشيديين لم يكن لها دور سياسي إلا أن المفاهيم حول مكانتها الدينية اتخذت اتجاهاً جديداً، فالقول إنها أرض المحشر وجد صدى في نفوس الناس، وهذا ما دفع كثيرين إلى الإقامة فيها ؛ لكي يدفنوا فيها، فالرحالة ناصر خسرو الذي زار القدس سنة 437هـ يذكر في كتابه أنه بعد الجامع سهل كبير، مستو يسمى السّاهرة، يقال: إنه سيكون ساحة القيامة والحشر؛ ولهذا يحضر إليه خلق

كثير من أطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فيضمنوا الحشر المكتوب منها .

وفي منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي تقريباً، بدأت مدينة القدس تأخذ مكانة الرملة كأهم مركز إداري في فلسطين.

وفي سنة 471هـ دخلت القدس ضمن الإمبراطورية السلجوقية التي امتدت من كشغر إلى القدس، وكانت أهم صفة مميزة للحياة في القدس هو ما يذكره المقدسي بأنها لا تخلو يوماً من غريب، فكان الحجاج يؤمونها من كل المناطق، كما أن كثيرين من المسلمين الذين كانوا يتوجهون إلى مكة كانوا يمرون بها، إضافة إلى الحجاج المسيحيين الذين كانوا يتوافدون إليها،

ثم انها ما فتئت ان سقطت في أيدي الصليبيين في عام 1099م بعد خمسة قرون من الحكم الإسلامي لها نتيجة صراعات على السلطة بين السلاجقة والفاطميين وبين السلاجقة أنفسهم. وقتل الصليبيون فور دخولهم اليها قرابة 70 ألفاً من المسلمين وانتهكوا المقدسات الإسلامية فيها . وهكذا قامت في ارجائها ومنذ ذلك التاريخ مملكة لاتينية تحكم من قبل ملك كاثوليكي فرض الشعائر الكاثوليكية على المسيحيين الأرثوذكس مما أثار غضبهم.

ولقد استطاع السلطان القائد صلاح الدين الأيوبي من استردادها من الصليبيين في العام 1187م بعد معركة حطين الفاصلة ، وعامل أهلها معاملة طيبة، وأزال الصليب عن قبة الصخرة، واهتم بعمارة المدينة وتحصينها.

لقد حرر الناصر صلاح الدين هذه المدينة المقدسة بعد92سنة من سقوطها في أيدي الصليبيين حيث كان سقوطها في سنة 492هـ، فسلمت إليه في يوم الجمعة 27رجب من سنة 583هـ، بعد توقيع اتفاقية التسليم مع قادتها، وشاءت الأقدار أن وافى دخوله بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج،

تقدم صلاح الدين، وتسلم حامية القدس، وظهرت الأعلام الصفراء شعار الأيوبيين المنتصرين على أسوارها. ولقد عمد إلى إزالة التغيرات التي أحدثت بعد احتلالها ، ومن ذلك كشف الجدار الساتر لمحراب المسجد الأقصى الذي كان الصليبيون قد بنوه في وجه المحراب، كما أعاد نصب المنبر في المسجد الأقصى، وأمر بفرش الجامع بالبسط النفيسة، كما أضاء المسجد بالقناديل، ورتب من يقوم بوظائف الخطبة والإمامة، ورتب في قبة الصخرة إماماً، وأوقف عليها داراً وأرضاً وبستاناً، وأمر بفتح المدارس ودور العلم في القدس لتدريس الفقه على المذهب الشافعي، ورتب لكل المساجد القومة والمؤذنين .

ملاحم الفتح من حطين حتى القدس

الموقف العام

الجانب الاسلامي: ما أن حل القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري حتى كانت الدولة العربية في حالة ضعف وتفكك الى الحد الذي قيدت به العزائم وضاعت الإرادة فغدت اصقاعها يدنسها التيه ويعتورها التمزق ويعتصرها الانكفاء، الأمر الذي جعلها هدفا مغريا لأعداء الإسلام وان هي الا سنوات حتى استلب جزء من ارضها بعد بضعة دغدغات على الحدود التي أصبحت واهنة، حينما أرسلت اوروبا حملتها الاستعمارية التي سميت (الحملة الصليبية الأولى) والتي بلغ تعدادها مئات الالاف وكان قوامها أربعة جيوش:

1-جيش شمال فرنسا بقيادة روبرت كورت هوز و روبرت الثاني كونت فلاندر.

2-جيش جنوب فرنسا بقيادة الأمير ريمون ري سنجيل.

3-جيش بلجيكا بقيادة قودمرواري جوبون واخيه بودوين بولوني وقد ضم هذا الجيش متطوعة من المانيا والنمسا والمجر.

4-جيش جنوب إيطاليا بقيادة تنكريد وبوهيموند امير تارنت.

ولقد وصلت الحملة الصليبية الأولى الى الساحل الشامي في 15 آب 1096م/ 489هـ بذات الوقت الذي كانت فيه الدولة العربية تعاني من حالة التمزق ولهذا كان احتلال المدن الساحلية واحدة تلو الأخرى امرا سهلا

وما ان حل العام 1099م/493هـ حتى كانت طرسوس والرها وانطاكيا والقدس محتلة وقد أسست فيها عدت مستعمرات من خليج الاسكندرون الى عسقلان ومن خليج العقبة الى شمال الرها ولقد اطلقت على كل مستعمرة صفة (امارة) فكانت هنالك امرة الرها التي حكمها بودوني دوبولني وامارة انطاكيا التي حكمها بوهيموند النرماني وامارة طرابلس التي حكمها ريمون ومملكة بيت المقدس التي حكمها الملك جاي لوسنيان.

وفي خضم تلك الاحداث نبتت بوادر الصحوة الاسلامية وتبلورت أسس التكاتف المصيري حيث تسربت في اثناء تلك الاحداث فكرة الجهاد الى نفوس العرب الى الحد الذي انذر الخليفة العباسي بوجوب التحرك. واتخاذ موقف تجام الأوضاع المؤلمة فتمخض عن تلك الصحوة ولادة جيل ثوري اخذ على عاتقه مهمة الجهاد وقد تقدم صفوفه قادة حريصون على الامة العربية ورسالتها الخالدة ومكافحون في سبيل بعث عزها ووحدتها، فشرعوا في كل الأماكن يجاهدون ويجهدون من اجل توحيد الصفوف ولم شمل الامة العربية ومن ابرز أولئك المجاهدين هم آل البيت الزنكي، فالأمير عماد الدين زنكي كون دولة ممتدة من معرة النعمان الى

الموصل واستطاع تحرير مقاطعة الرها من ربقة الغزاة ثم جاء من بعده ولده الأمير نور الدين محمود الذي حذا حذوه وحرر عدة حصون هي:

((ارتاج – باراه – برفوث – عزاز – كفر لاثا – عين تاب – تل خالد – كفر سوب – ولوك– مرعش– نهر الجوز – برج الرصاص)) .

وبذلك أصبحت مقاطعتي الرها وانطاكيا محررتين. وبعد ان ذهب الزنكيون تجلى دور الايوبيين ومنهم القائد صلاح الدين الذي ما فتئ حتى كون دولة متينة موطدة الأركان قوية الشوكة تمتد من العراق الى الرقة ومن اليمن الى الشام بعد ان ضم تلك الاصقاع لدولته التي كونها في مصر وقد اتجه بعد ان اكمل بناء الدولة القوية الى مهمة الجهاد المقدس لاستكمال تحرير الأراضي المغتصبة بعد انتزاعها من سطوة الصليبيين فاصطدم معهم وقد استمرت معاركه ضدهم سنين عديدة حقق فيها الكثير من الانتصارات لكنه تحقيقا لاتصال ارض الشام وارض مصر لما يفره الاتصال من ضمانات سوقية مهمة يحتاجها في الاعداد لقضية التحرير الكامل عقد هدنة عامة مع الامارات الصليبية التي تقبع على انحاء الطريق الذي يربط كفتي الدولة العربية القائمة ومنها امارتي الكرك والشوبك ولكن ما انفك صاحب الكرك المدعو (أرناط) حتى نقض الهدنة باعتدائه على قوافل الحجاج المسلمين وغنم أموالهم واسر بعضهم فعد هذا العمل المشين الشرارة

الأولى لاندلاع الحرب الاسلامية الصليبية والتي توجت بمعركتي حطين وتحرير القدس.

الجانب الصليبي: اثارة مسألة اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية وازدهارها حقد اوروبا وخاصة الفرنجة وشكلوا حملة تحت شعار المسيحية لزرع كيان غريب في قلب الامة العربية وبعد ان وطئت اقدامهم ارض العرب وتم لهم تأسيس مستعمرتهم التي تعد موطئ قدم لتوسعهم وقاعدة لتنفيذ اطماعهم كان اخشى ما يخشاه هؤلاء الغرباء ان يتحد امراء العرب المسلمين او ان يظهر بينهم من يوحد كلمتهم وان يركز في يديه القوة التي تزخر بها ولهذا فقد اقلقهم بروز الزنكيين وعندما نجح الأمير عماد الدين وولده نور الدين محمود باستعادة بعض الأجزاء من ارض الاسلام جهزت اوربا حملتها الصليبية الثانية للحد من هذا التطلع والتمكن من حماية مستعمراتهم .

ولما تلالا نجم القائد صلاح الدين في سماء الامة اقضت مضاجعهم همته لاسترجاع القدس وبدأوا يحوكون ضده المؤامرات ويؤلبون عليه الامارات التي تحت امرته كما حاولوا تأليب الدولة البيزنطية ضده أيضا فلم يفلحوا لوفاة ملك بيزنطة الذي كان يتعاطف معهم ومجيء ملك اخر يميل الى كسب صداقة المسلمين ، كما قاموا بالاتصال بطائفة الحشاشين الهدامة والطلب منها اثارة الفتن واعمال الإرهاب داخل كيان الدولة العربية

الإسلامية ولكنها وبعد فترة التزمت الحياد وبذلك اضطرب موقف الأعداء فلم يجدوا من بد غير التحرش المباشر فقاموا بقطع الطرق التي تربيط كفتي الدولة الإسلامية وانزال الأذى بالحجاج المسلمين والقيام بعمليات تعرضية هنا وهناك وكل غرضهم استنزاف قدرات قوى المسلمين وتشتيت قواها ليتسنى لهم مواجهتها بلقاء حاسم ولكنهم اصطدموا بحقيقة ان لا سبيل الة نواياهم لأنها باتت عقيمة امام تعاظم قوى المسلمين ولهذا رضوا بعقد هدنة يستثمرونها في اعداد قواهم ولكن بعد ان تمت الهدنة قام احد امرائهم ويدعى ارناط بنقضها مما سبب خرقها تعجيل امر انهيار مستعمراتهم في الجسد العربي نهائيا بحيث باتوا يجمعون شتاتهم لوقاية مستعمراتهم التي كانت بشكل امارات متناثرة هنا وهناك .

التدابير والاستحضارات

قام السلطان القائد صلاح الدين بإنجاز عملية الاعداد والتحضير لكافة التدابير المطلوبة للموقعة الحاسمة مع الغزاة المستعمرين مثل التحشيد والتسليح والتجهيز والتنظيم متوخيا حشد اعظم قوة ا أدبية وبدنية ومادية لاستخدامها في المكان والظرف المعينين مع الموازنة والقدرة على تحقيق الظفر . ولقد كان العمل تطبيقا لقوله تعالى) واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) ويمكن تصور حصر التدابير المتخذة في مطالعة الأمور الاتية:

التدابير السياسية: وتشمل تامين الاستقرار السياسي في الدولة حيث ان النصر حليف من يتمتع بالاستقرار والوحدة ولقد نجح القائد السلطان صلاح الدين في جعل الدولة مستقرة وتعيش حالة تماسك فعال كما ونجح في تامين حدودها الخارجية من خلال عقد معاهدة صداقة مع بيزنطة وجعلها تأخذ جانب الحياد في الحرب .

التدابير المادية : وتشمل التسليح والتجهيز اللذان يتكفلان تحقيق الاكتفاء الذاتي من أسلحة ولوازم ومتطلبات الحرب ولقد اتصفت عملية الاعداد بزخم الامدادات من الأسلحة والمواد الحربية المخصصة لقتال المنعات والحصون من الات اقتحامية ومن أسلحة ومعدات وتجهيزات سوقية وقد اقتضى لتوفيرها حشد جميع جهود وإمكانات الدولة .



التـدابير المعنويـة: وشملت تطبيق قاعدة الجهاد في سبيل الله من خلال تبصير وحث الناس على الجهاد من اجل القضية المقدسة ومن اجل القضية القومية برمتها والعمل على غرس روح الاستعداد النفسي والايمان الروحي بالمهمة والاستماتة من اجلها .

التدابير الإدارية : ولقد تمت فيها تهيئة كافة شؤون الميرة والأمور الإدارية من التي تحقق الغاية وتحسم كل المعوقات الانية التي يمكن تحدث خلال الصراع مع الخصم .

التدابير التنظيمية : حيث تم اعتماد النظام الذي يكفل حماية القطعة في المسير والسيطرة المركزية على أركانها الا وهو نظام الخميس كما تم تقسيم لكل قوة في هذا النظام الى مجموعة كراديس ثم اعتماد أسلوب الجحافل الذي تقترن من خلاله قوى مختلفة المهمة والواسطة لأنه يكفل التعاون ويزيد من قدرة تلك القوى القتالية ويعطيها الاسناد الكافي.

موقعة حطين الفاصلة

بعد ان نقض القائد الصليبي ارناط امير الكرك الهدنة ، فكر السلطان القائد صلاح الدين في الامر وقرر ان لا يظلم الامارات الأخرى التي تشكل الطرف الثاني في الهدنة وان لا يأخذهم على مأخذ وجريرة احدهم حتى لا يظنوا ان المسلمين ليس لديهم عهد وانهم كانوا يتمنون هكذا عمل يبدر ليأخذوه ذريعة للتنصل عن الهدنة، فاتصل السلطان القائد بتلك الامارات بيد انه اوجس فيهم غائلة المماطلة وعدم الوضوح مما استدعاه ان يتصل بملك بيت المقدس الصليبي باعتباره زعيمهم الأعلى غير انه وجده عاجزا عن إيقاف ارناط عند حده فايقن نقض الجانب المعادي للمعاهدة وهي لم تزل في مهدها فما كان منه الا ان الغى التزامه فيها واعلن حالة الحرب مطلقا شعاره (الجهاد من اجل القدس) فرتب حملة عسكرية كبيرة وكانت مقدمة عملياته هي معركة حطين(7) الشهيرة التي تعد من المعارك الفاصلة في التاريخ حيث فتحت الباب على مصراعيه لتحرير وفتح القدس وأجزاء فلسطين الأخرى . كما وتعد نقطة التحول الحاسمة في الموقف السياسي والعسكري في المشرق ، فمن خلالها دمرت المؤسسة العسكرية الصليبية التي ظلت ترهب المشرق نحو قرن من الزمن، كما وتحول المسلمون من وضع الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي وانتعشت الآمال بقرب نهاية الوجود الفرنجي في البلاد. وتبين للجميع أهمية الوحدة السياسية وتلاحم القوى وبناء القدرة الذاتية والتخطيط الشامل ووضوح الهدف في

تحقيق النصر. ومن الناحية العسكرية فقد كانت معركة حطين والترتيبات التي سبقتها والعمليات التي تلتها نموذجاً رائعاً للحرب الحركية والمناورة الجيدة تمثلت فيها مختلف أنواع الأعمال الحربية من الاستطلاع الجيد والاختيار الصحيح لأرض المعركة إلى القتال في المسير والقتال التصادمي والهجوم والدفاع والتطويق وغير ذلك ، غير أن أبرز ما فيها نجاح المسلمين في تشتيت جهود العدو وإنهاكه وإرهاقه بالرمايات من الحركة وإضعاف معنوياته والإفادة من نقاط ضعفه قبل الانقضاض النهائي عليه، ومن ثم استثمار النصر من دون تلكؤ ليكون النجاح تاماً غير منقوص.

اهداف الطرفين في حطين

قوة المسلمين: في كل عملية ناجحة يجب انتخاب وتوخي الهدف بوضوح ولقد كان الهدف المتوخى لمعركة حين التاريخية هو اعتبارها عملية حاسمة كسرت شوكة الخصم او على الأقل حطمت ارادتهم على التبجح والغطرسة وجعلتهم يرضخون لشروط المسلمين وهي الجلاء عن بلاد الشام الى الابد ولقد كان السلطان القائد مصمما على توجيه قوته وتركز جهودها الى منازلة حاسمة فاصلة متجنبا بعثرة جهوده في عمليات تعرضية جانبية غير مؤثرة .

قوة الصليبيين: كان المقصد النهائي للصليبيين هو كبح جماح الجيش الإسلامي واجباره على التخلي عن فكرة التحرير الشامل للأرض أولا ثم العمل على القضاء عليه باعتباره القوة الرئيسة لدولة السلطنة التي باتت تودي بتطلعاتهم العدوانية نحو الهاوية وتهدد مخططاتهم الاستعمارية .

قوات الطرفين في حطين

جانب المسلمين :

(1) استنفر القائد صلاح الدين جميع القادرين على القتال في أنحاء الدول العربية الإسلامية لأمر الجهاد مطبقاً لقوله تعالى ((أنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم)) فلبت نداء جماهير الأمة العربية الإسلامية في كافة أرجاء الدولة العربية وجاءته الجيوش الآتية :

جيش مصر 14,000 ألف مقاتل.

جيش حلب 1,000 ألف مقاتل.

جيش دمشق 1,000 مقاتل ما بين فارس وراجل.

جيش الموصل والجزيئة ستة آلاف وخمسمائة مقاتل.

جيش حمص خمسمائة مقاتل.

جيش حماة ألف مقاتل.

إضافة إلى قوات اليمن وبرقة والمغرب والنوبة وديار بكر وقبائل البدو من بني طيء وبنو منق ، ولقد بلغ تعداد القوات النظامية قط أثني عشر ألف فارس وثلاثة عشر ألف راجل يضاف إليها القوات الاحتياطي والمتطوعة.

(2) صدر الأمر إلى الأسطول الحربي الذي يرابط في البحر المتوسط بالتحرك للاشتراك في المعركة الحاسمة وكان بقيادة الأمير الحاجب حسام الدين لؤلؤ ، وجاء يتكون من ثلاثين سفينة حربية تحتوي على مجانيق وعرادات وأبراج خاصة بحروب البحار ، وكانت هذه السفن مقاومة لتأثير النيران لأنها مغلفة بجلود مبلولة بمحاليل تقي السفن تأثير النفط والنيران وتجعلها تكون ضد الحرائق مما يقلل من نسبة الخسائر كما وكانت مزودة بالزراقات التي تقذف نار النفط مع رعد ودخان كثيف فتحرق سفن الأعداء.

جانب الصليبيين :

(1) حشد الأعداء لمعركتهم ضد العرب جيشاً بلغ تعداده ستون ألف مقاتل بين راجل وفارس بضمنهم فرسان الهيكل وقد تمثلت القوات بالآتي :

قوة صيدا – قوة إمارة طرابلس – قوة مملكة بيت المقدس – قوة جبيل – قوة عكا – قوة اسكندرون – قوة مرقية – قوة الدرك – قوة صور – قوة طبرية – قوة عسقلان.

(2) كانت نواة الجيش المعادي تتألف من فرق الداوية والهوسبتارية باعتبار أن هذه الفرق تمثل الجيش الدائم المستعمرة الأوربية في بلاد الشام وقد كانت إقامتهم في القلاع والحصون والثغور المهمة والمركزية وقد اكتسبوا شهرة في عدائهم للعرب إلى درجة جعلت القائد صلاح الدين لا يتعاطف

مـع أسـراهم ولا يتسـامح مـع قـادتهم كمـا فعـل مـع بقيـة الأسـرى مـن الرعـاع والمرتزقة ، نسبة التوازن : العرب = 1 / الصليبيين = 3 ـــ 1 / 3.

صفحات التقدم نحو حطين

يعد التقدم صفحة من صفحات القتال التي تكون فيها الفرص التعبوية والخيارات مفتوحة أمام القائد ، كما أن المناورة فيها غير مقيدة بحدود طبوغرافية او تنظيمية. ولقد قام القائد المظفر صلاح الدين بإصدار أوامر التقدم لركب جيشه المكين بعد انجاز عملية التحشيد السريع، حيث تحركت قطعاته على ضوء ذلك لتنفيذ الخطة المرسومة لها وكان تقدمها من دمشق بحركية عالية وبذلك عد تقدماً سوقياً منظما وقد كفل ضمان الفوائد التالية

أ- مبادأة العدو بالهجوم وبذلك يجبره على الانقياد إلى كل خياراته المطلقة في المناورة والأسلوب القتاليين.

ب- عرقلة اتمام التحشد للعدو مما يضعف الجانب المعنوي لهم ويزيد من الجانب المعنوي العربي.

ج- ضمان الوقت الكافي لدراسة العمق السوقي لأرض المعركة واستحصال المعلومات لإنجاز الخطط بدقة.

أما محور حركاته الذي يمثل الخط العام لتحرك القطعات باتجاه الهدف فقد كان بمراحل وكانت لكل مرحلة خصوصية في التقدم.

التقدم للمناورة

عندما أدرك القائد صلاح الدين استحالة السيطرة على القدس دون التخلص مناطق تحشدها من المقاومات المنتشرة حولها ، حيث كانت تتوسط فلسطين مما يجعلها في مركز وسط منيع بين العديد من القلاع والحصون المزدحمة بالجند الغرباء لما كانت تتمتع به من مركز استراتيجي حيوي من النواحي الدينية والعسكرية والبشرية والاقتصادية والسياسية والإدارية ، اختار القائد أسلوب التقدم بالمناورة السوقية كمرحلة أولى حيث لم يختر الطريق المباشر بل فضل التحرك نحو بعض الأهداف التي تشكل تأثيرات سوقية في العملية أي تأمين خط مواصلاته مع القاعدة وحماية ظهره بقيامه في السيطرة على تلك الأهداف الحصينة التي تنتشر على الجبهة المغايرة والانتهاء من أمرها لكي يكفل نجاح عمليته بدقة وسرعة ولهذا تقدمت قوات الجيش من مناطق تحشيدها على الخطوط الخارجية المتقاربة وكما يلي :

أ- توجهت قوة من مصر عبر الطريق الساحلي الذي يربط الشام بمصر بقيادة الملك العادل وقد حدد لها مكان الاقتران مع القوات الشامية في تل عشترة.

ب- تقدمت القوات التي تم حشدها في دمشق في 1 محرم / 12 حزيران باتجاه الجنوب وحال وصولها رأس الماء بمرج عكا عسكرت هناك لتحقيق الآتي :

أولاً : انتظار تجمع القوات القادمة من الانحاء للمشاركة في الجهاد المقدس.

ثانياً : للتمويه على المقصد النهائي للجيش الاسلامي وتشتيت جميع استنتاجات الأعداء حوله.

ثالثاً : لدعم تقدم الأرتال الأخرى وإعطاؤها الستر الكافي من الخلف لتلافي تهديد خطوط مواصلاتها مع قواعد التموين وخطوط الانسحاب.

ولقد أفرزت قوة بأمرة الملك الأفضل لترابط في المكان وسار باقي الجيش تحت قيادة السلطان القائد صلاح الدين نحو الجنوب وبعد مسيرة طويلة عبر منطقة شبه جبلية وصلت القوة ناحية قصر السلام التابعة لبصرى وقد أمر القائد صلاح الدين المرابطة غيها لتحقيق الأمور الآتية :

أ- إيهام الأعداء بأنه يريد تطويق القدس وبذلك يجعل ثقلهم يرتكز في منطقة حركات القدس تاركين الجبهات الأخرى التي يقصدها واهنة أمامه.

ب- منع اعتداء (ارناط) على قوافل الحجاج الذين في طريقهم من الحجاز إلى الديار المصرية ومنع احتجازهم كرهائن يؤثر بهم على مصير الموقف النهائي للحرب وقد استمرت مرابطته إلى الوقت الذي تأكد أن القوافل الإسلامية غادرت منطقة الخطر بسلام.

ج- ستر تقدم القوات المصرية لأنه بهذه لعملية يقوم بتدابير الحماية لخط تقدم جيش الملك العادل القادم من مصر من خلال تأمين المحور من خطر الكمائن ومفارز التعويق التي من المحتمل أن يقوم بتدبيرها الأعداء.

ولقد تخلل هذه الفترة تطهير المنطقة من المقاومات المعادية حيث قام صلاح الدين بالتقدم في 12 ألف فارس نحو حصن الكرك وحصاره لأنه يسيطر على الطريق الواصل بين كفتي الدولة وبذلك تم تأمين عملية وصول التقويات والإمدادات من مصر بسهولة محبطاً نية أمير الكرك لضرب القوات القادمة من مصر ومنعها من الوصول إلى منطقة التحشد التي تم تقريرها مسبقاً.

وفي نفس الوقت الذي عولج فيه أمر الحصنين (الكرك والشوبك) أرسل القائد صلاح الدين قوة قتالية إلى عكا بهدف تحقيق المكاسب التالية

أولاً : تضييق الخنادق على الساحل ومدنه خاصة عكا وجرها خارج دائرة الصراع وبذلك يبقى أكبر قدر ممكن من قوات الأعداء بعيد عن حالة الاشتباك مما يقلل من حجم الحشد المعادي.

ثانياً : لسحق الحامية المتواجدة بالمكان والتي يرجح أن تكون أكبر قوة معادية.

ثالثاً : اختيار قوة الصليبيين ومدى معنويات قواتهم.

وقد كان قوام القوات القادمة من انحاء الدولة يقدر بـ أثني عشر ألف مقاتل وتكونت من ثلاثة أرتال فخمة ، ضم الرتل الأول عسكر الجزيرة من ديار بكر وهو بقيادة مظفر الدين كوكبري أمير حران، وأحتوى الرتل الثاني عسكر حلب بقيادة بدر الدين ولدرم بن ياروق وأحتوى الرتل الثالث عسكر دمشق وهو بقيادة صارم الدين قليماز النجمي ولكي يختبر صدق اخلاص ريموند طلب إليه أن يسمح لهذه القوة بالمرور من أراضي إمارته حيث أمر هذه القوة اعتماد الطريق الذي يمر من أراضي الجليل نحو عكا محققين أمرين أولهما اختصار المسافة وثانيهما اختبار مصداقية اخلاص ريموند الذي يحكم هناك والذي كان يظهر التعاطف مع العرب ولما علم قاد الداوية جيراردي ريدنوار بمرور هذه القوة جمع جيشاً من الداوية والاسبتارية في صفورية لصد الجيش العربي ولكن الجيش العربي علم بتجمع الصليبيين فدبر خطة حكيمة ونجح في الإعارة ليلاً على معسكر الأعداء وتمكن من تدمير قوته بالكامل كما نجح في أسر قوة النجدة الصليبية التي جاءت لاحقاً. وبذلك نجحت القوة في الإغارة على معسكر الأعداء وتمكنت من تحقيق أهدافها.

ثم زحف الجيش بعد وصول قوة مصر نحو رتل عشترة الذي يقع بناحية الكرك وعسكر هناك أبعد قواته ويكمل تعبئتها بما يتلائم وانجاز المرحلة الثانية من التقدم المتمثلة في الزحف نحو الشمال والالتفاف نحو طبرية.



التقدم للتماس

في يوم الخميس 16 ربيع الثاني / 25 حزيران غادر صلاح الدين تل عشترة وكان تقدمه في اتجاه الشمال مع محاذات نهر الأردن من الجانب الشرقي عبر محور طويل تتخلله الكثير من العوارض الطبيعية مع احتمالية تواجد مفارز تعويق فيه.

وفي يوم السبت 27 حزيران أي بعد مسيرة يومين وصل منطقة التقاء بحيرة طبرية ونهر الأردن عند (الصنبرة) وتم عبور الجيش منها إلى الجانب الغربي للنهر في 1 تموز لتوافر الضمانات الآتية :

1- اعتماده على الصداقة الشخصية مع ريمون أمير طبرية حيث كان يكن الاحترام لصلاح الدين وبذلك يتلافى أية ضربة أثناء العبور كما ويأمن تهديد الجناح من جهة طبرية فلا يكون محاصراً بين الأعداء من الجانبين.

2- اختياره لمنطقة عبور يكون فيها النهر ضيق وغير عميق وذو قعر صلب صخري لتسهل عملية العبور المباشر دون نصب الجسور.

ولقد كان العبور مباغتاً وسريعاً حيث جرى في وقت ومكان غير متوقعين وقد سبقت عملية العبور مسك الضفة الثانية بواسطة تسلل قوة الأمير عيسى العوام التي هي مشابهة لصنف الضفادع البشرية حالياً ، حيث تم مسك رأس الجسر بعد القضاء على دوريات الشاطئ المعادية ، وبعد اتمام عملية العبور الكامل للجيش بات ليلته في الاقحوانة ثم تقدم نحو كفر السبت الواقعة في التلال الكائنة على بعد خمسة أميال غربي طبرية بعد استطلاع الطريق ومقترباته ودراسة طبوغرافية المنطقة.

وفي تلك الأثناء جاءت المعلومات التي تشير إلى أن ريمون أمير طبرية التحق بأقرانه ناقضاً عهده مع العرب وبذلك أمست القوات العربية مهددة من الخلف بوجود قلعة طبرية المحتوية على حامية ذلك الأمير الصليبي مما حدى بالقائد صلاح الدين أن يفرز قوة لترابط في المكان وتوجه هو بالقسم الأكبر لمعالجة طبرية وقد أراد أن يحقق أمرين أولهما هو تأمين مؤخرة الجيش من خطر الحامية الصليبية التي في طبرية بعد تبدل المواقف وثانيهما لاستدراج الصليبيين في الدفاع عن طبرية وبذلك يقرر الموضع الذي يلائمه في المواجهة معهم حيث تقدم وطوقها في 24 ربيع الثاني / 2 تموز ولقد استطاع جماعة الفعلة (الجهد الهندسي) من إحداث ثقوب في السور تم من خلالها التوغل إلى داخل المدينة ومن ثم السيطرة عليها في 25 ربيع الثاني ، ولم يتبق غير القلعة التي امتنعت عليه فطوقها عاملاً عليها الحصار النفسي والاقتصادي ولقد كان للسيطرة على طبرية ردود فعل في الجانب المعادي اعتبرت من معجلات عملية المواجهة المزمعة حيث على أثرها قام الملك (غي دي لوسينيان) صاحب القدس بعقد جلسة طارئة لأركان حرب المستعمرات الصليبية تقرر فيها الخطة العامة للمواجهة ثم زحف نحو طبرية.

ولقد علم القائد صلاح الدين بمقدم جيش الأعداء ففرح كثيراً وقال قولته المشهورة ((جاءنا ما نريد ونحن أولو بأس شديد وإذا صحت كسرتهم فطبرية وجميع الساحل وما دونه مانع ولا عن فتحه وازع)).

ميدان المعركة

كان انتخاب ميدان المعركة من قبل القائد صلاح الدين يعطي جانب مضاف إلى نتائج المعركة لأن من ينتخب ميدان المعركة يتحكم في سير القتال ويتمكن من رؤية ما ستؤول إليه النتائج وتجعله قادراً على حساب التوقيتات للحركات من عارضة إلى أخرى ولقد كان ميدان المعركة المقرر هو منطقة تل حطين(7) التي لو عالجناها بالدرس لتبين أنها موضع تقع على بعد (أميال) عن طبرية من جهة الشمال الغربي وهي هضبة ارتفاعها عن سطح البحر 300م ولها قمتان تسمى قرون حطين وتضم عدد من ينابيع المياه التي تمثل مورد اقتصادي مهم في مثل هكذا طبيعة وفيها وادي يقع بالقرب من تلال (لوبين) أما طبيعتها فكانت صحراوية وهي الأرض المحببة لقتالات العرب وكانت تتمتع بأهمية سوقية عسكرية يمكن إجمالها بنقطتين أولها اتصالها بالصحراء وقربها من الثغور الأيوبية مما يجعل إمكانية المناورة عليها والانسحاب منها في حال التعرض للفشل في القتال على حافة الصحراء والاتصال بالأرض المزروعة من ناحية أخرى وهو أسلوب قتالي يعد أساس الخطة السوقية العربية في كل الأزمات وثانيهما الاستفادة من أهمية المانع لأن كل من ينحصر بين قوة ومانع يندحر لذلك قدر القائد صلاح الدين أهمية المانع المتمثل بالتلال والوديان قبل اقدامه سواء بالحصار أو المباغتة والحرمان من مكتسبات وقتية

وخاصة إذا كان المانع وادياً طويلاً والاعداء مثقلين بآلات الحصار والتجهيزات الكثيرة.



خطط الطرفين في حطين

خطـة المسـلمين: بعد تقدير الموقف وموازنـة جميـع العوامـل المـؤثرة فـي النتائج وضع القائد صلاح الدين خطته للمعركة وكانت على النحو التالي :

1- يقوم الجيش الاسلامي بتضييق الخناق على طبرية التي تعتصم بها زوجة ريمون أمير طرابلس مع أولادها ، لجر الأعداء المحتشدين في صفورية إلى الزحف لفك الحصار عنه.

2- حال وصول القوات المعادية بالقرب من منطقة حطين التي تقع على بعد 20 كم من الناصرة باتجاه طبرية تقوم القوة العربية المرابطة هناك باستدراجها إلى المكان الذي يمكن حصرها فيه ومن ثم تطويقها واجبارها على الاستسلام وبذلك يعتمد المكان كشرك ضد العدو.

3- ترشيح تل حطين كماكن ملائم للعملية لأنه موضع مغر بالنسبة للعدو وحيث تتوفر فيه المياه التي يحتاجها الاعداء بعد مسيرة طويلة وشاقة في أرض مقفرة وتحت نار محرقة كما أنه موضع استراتيجي وذو أهمية تعبوية بالنسبة للجيش العربي.

4- قيام القوة المتقدمة باتجاه عكا بتطويقها والسيطرة على جميع محاور الحركات التي تربط مدن الساحل ومدن العمق لتلافي قيام الأعداء

بإرسال قوات النجدات منها لتطويق الجيش العربي من الخلف ووضعه بين فكي كماشة وانجازهم لعملية فك الحصار.

5- اسناد مهمة حماية السواحل من خطر وصول نجدات خارجية إلى الأسطول العربي الحديث النشأة والذي بأمرة حسام الدين لؤلؤ وتكليفه بصد ومطاردة السفن المعادية وتأمين جهة البحر من وصول الامدادات والتقويات من الخارج.

6- اختيار يوم الجمعة موعداً للهجوم باعتباره يوماً مباركاً وذو فأل حسن عند صلاح الدين وتقرير إشارة بدء الهجوم بالتكبير ثلاث مرات متتالية.

7- كانت المعركة بثلاث صفحات ففي الصفحة الأولى تم استدراج العدو نحو موضع الشرك وفي الصفحة الثانية تم الانقضاض عليهم وتمزيق حشدهم مما جعلهم يلوذون بالتلال لإعادة التنظيم وفي الصفحة الثالثة الصولة على موضع ملاذهم وثم القتال عبر الهدف وتطهيره.

خطة الصليبيين : عندما أحس الصليبيون بنوايا صلاح الدين التحررية ، عقدوا اجتماع طارئ في عكا لتدارس الأوضاع الطارئة وبينما هم مؤتمرين وصلتهم أنباء عبور صلاح الدين لنهر الأردن الأمر الذي جعل القسم الأكبر منهم يعلن فكرة التقدم نحو الشرق وصد الجيش العربي بأسرع وقت

، ولكن الأمير ريمون الذي نكث بعهده مع صلاح الدين لاحقاً والذي كان قد حضر المؤتمر نصحهم بالتريث وطرح أمامهم مشروع خطة وقائية في قوله ((أن الجيش لا يتمكن من التقدم وقبول المعركة في مثل هذا الفصل الشديد الحرارة ومن الأصلح قبول الدفاع لحين انتهاء فصل الصيف ، فإذا عجز صلاح الدين عن كسر دفاعنا سيضطر إلى الانسحاب لأنه لا يستطيع إدامة هذه القوات الكبيرة التي حشدها لمدة طويلة في مثل هذه المنطقة الشديدة الحرارة ، وخلال ذلك ستصل إلينا النجدات ونتمكن في الخريف من قبول المعركة في المحل الملائم لنا)).

وقد أيده البعض وخالفه (ارناط وشاتيلون وجيرارد) ونتيجة لتأثير الآخرين على الملك فقد قرر الملك (غي لوسينيان) التقدم نحو صفورية فزحفوا نحوها ووصلوا يوم 2 تموز ولقد كانت مكان ممتاز تجعل من يستولي عليها أن يكون في يده مفتاح الظفر لأنها منطقة تحتوي على المراعي ومنابع المياه الوفيرة.

بعد تحشد الأعداء في صفورية وصلتهم أخبار حصار طبرية وما بات من أمرها عن طريق رسالة أرسلتها الكونتيسة أشفا المعتصمة بالقلعة ، فعقدوا اجتماع عاجل اتضح لديهم فيه رأيان حول خطط المعركة.

فقسم كان يرمي إلى العمل الدفاعي ويحبذ الانتظار حتى ينسحب صلاح الدين عاجزاً عن مقاومة وطأة الحر وقلة المياه أو يتقدم إليهم وهذا في غير صالحه وكان يتزعم جماعة هذا الرأي الأمير ريمون أمير طبرية الذي قال:

((وعندي أن نترك قوى العدو وشأنها في طبرية لأن سقوط هذه المدينة وقلعتها لا أهمية له من الوجهة الحربية فأن غرض السلطان من مهاجمتنا هو استدراجنا إلى الخروج من صفورية لنهلك عطشاً وبحد السيف في الصحراء القاحلة ، أما إذا لزمنا موقعنا الدفاعي فأن صلاح الدين يضطر إلى الجلاء عن طبرية فندخلها دون قتال))وقد استند ريمون بخطته على معرفة لأساليب صلاح الدين بحكم صداقته له ولهذا فضل الاعتصام بصفورية والدفاع عليها لما يتميز به موقعها من وفرة المياه واعتدال المناخ ومنعة التحصينات.

أما القسم الآخر فكان يرمي إلى العمل التعرضي ويحبذ الهجوم العاجل لإثارة الرعب في جيش صلاح الدين وكانوا يستهينون بكثرة عدد الجيش العربي ويقولون أن النار لا يضرها كثرة الحطب ، وكان يتزعم جماعة هذا الرأي الأمير رينو دي شاتيون أمير الكرك الذي يلقب (أرناط) وبعد مداولة طويلة اختاروا الرأي الأخير كمشروع لتحركاتهم واقعين في خطأ التقدير للموقف ومتجاهلين لنصائح أمير طبرية الصائبة.

وقد صدر الأمر إلى القوات الصليبية بالتقدم نحو طبرية عند الفجر.

مرتكزات خطة المسلمين في حطين

من الجدير بالذكر أن القائد صلاح الدين قد اتخذ الإجراءات الاحترازية التالية قبل الشروع بالعمليات :

1- عين موضع قواته في الأماكن التي تجعلهم يقفون حائل بين الأعداء وبين مصادر التموين للمياه.

2- أوعز بردم صهاريج المياه التي تنتشر على خط تقدم الأعداء.

3- أمر قادة تشكيلاته تفقد مواضع الجند والتأكد من توفير الإمدادات الاحتياطية وخاصة أكداس النبال والسهام ، حيث تم زج أربعمائة حمل من هذا العتاد على طول الخط الدفاعي وزعت على سبعين موضع لتكون في المتناول

موقف ما قبل معركة حطين

برزت العوامل التالية قبل المباشرة بالعمليات الحربية بين الطرفين :

1- أن القوات الصليبية انهكها التعب وداهمها العطش بعد مسيرة طويلة في أرض صحراوية وتحت وطأة الشمس التموزية بينما قوات المسلمين كانت قد احتفظت بكامل لياقتها حيث باتت تتمتع بالراحة ، مدخرة جهدها وطاقتها ويدها تسيطر على منابع المياه.

2- إن الأعداء كانوا يتكونون من ثلاث تشكيلات مختلفة تحت قيادات غير منتظمة وغير متفقة ، الأمر الذي يشكل صعوبة في اتخاذ قرار حاسم في أي أمر على عكس الجيش المسلم المتجانس والذي يتبع لقيادة مركزية واحدة.

3- أن القوات المعادية لم تكن تقديراتها ناضجة ولا خياراتها صائبة لأنه لم يتوفر لديها الوقت الكافي لدراسة الموقف واستطلاع الأرض لاستنباط الحلول ومعرفة الاحتمالات ، حيث ما أن وصلت أرض حطين حتى بادئها الجيش المسلم الذي كان لديها متسع من الوقت لإعداد الخطط المدبرة.

4- أن لمعرفة المسلمين لفن القتال في الصحراء وتمرسهم على الصولة وتوفر الوسائط الملائمة له جعلتهم يتفوقون على الأعداء الذين لم يعتادوا

على مثل هكذا ظروف وليس لديهم أية فكرة عن أصول ومتطلبات ومبادئ القتال في المناطق الصحراوية.

5- كان الجيش المسلم يتكون من مقاتلة نظاميين خضعوا لتدريب متواصل ودقيق استطاعوا التزود بمعلومات وافية في استخدام السلاح والأرض بالصيغة المثلى كما ازدادوا صلابة وشدة بأس على عكس الجيش المعادي الذي أقتيد إلى ساحة الحرب مرغماً والذي يتكون من مقاتلين غير نظاميين حيث أكثرهم من المجندين لاحقاً والرعاع.

6- أن عدم اهتمام الأعداء بأمر قواعد التموين جعل خطوط مواصلاتهم وقواعد تموينهم واسنادهم قليلة جداً ومعرضة للخطر على عكس الجيش المسلم الذي أمن خطوط مواصلاته وأسس العديد من قواعد التموين والإمداد وأفرز لها قوات تحميها وتديم الاتصال بقوة الحملة لتغذيها بمتطلبات المهمة وتقوم بعملية الإخلاء للخسائر والجرحى والغنائم إليها.

سير القتال في حطين

كان أمام الصليبيين محورين للتقدم نحو طبرية أولهما هو المحور المؤدي إلى الشمال الشرقي عبر تلال الجليل ثم الانحدار منها نحو طبرية من جهتها الشمالية ، أما المحور الثاني فهو يتجه إلى الصنبرة جنوب البحيرة ماراً بالقرب من معسكر الجيش العربي في كفر سبته ولقد اختار الأعداء المسلك الأول لأنه يجنبهم التماس مع الجيش العربي ولما وصل هذا الخبر إلى صلاح الدين تحرك نحو الشمال بمسافة خمسة أميال عبر التلال واتخذ موضعه قرب قرية حطين وهو المحل الذي يبدأ فيه محور تقدم العدو بالهبوط نحو البحيرة وكان هذا المكان غني بالمياه والمراعي ولقد ترك بالمياه والمراعي ، ولقد ترك قوة صغيرة في طبرية لتشاغل الحامية المحاصرة في قلعتها.

وعند وصول طلائع الجيش منطقة الاجتماع التي تمثل منطقة من الأرض تجري فيها آخر الاستعدادات الإدارية وإعادة التجحفل قبل الهجوم أصدر القائد صلاح الدين أمره الانذاري بالسيطرة على منابع المياه والطرق المؤدية إليها لحرمان العدو من استثمارها وبعد أن تم اصدار أوامر المعركة التي على ضوئها تم تطبيق الصفحة الأولى من الهجوم باستدراج العدو غلى الأتون بين تلال لوبيا وحطين والسيطرة على رؤوس الممرات والمنافذ الخارجية بعد تقدم الأعداء من صفورية في فجر 3 تموز وبعد مسيرة في أرض جرداء وعند وصولهم منتصف الطريق بدأ العطش يداهمهم وبدأت

مفارز الجيش الاسلامي تهاجم مقدمتهم ومؤخرتهم بواسطة السهام وعند الظهر وبعد توغلهم مسافة 16 ميل في عمق الوادي وصلوا إلى الهضبة الكائنة فوق حطين التي ترتفع عن سطح البحر 300م والتي تحتوي على قمتين ارتفاع كل منهما 100 قدم والتي تسمى قرون حطين ، وما أن شاهد الفرنجة جيش المسلمين أسفلهم حتى قرروا التعسكر على الهضبة واستئناف الهجوم في اليوم التالي وكان التعسكر أمام بئر جاف وأمامه أرض شديدة الانحدار نحو قرية حطين والبحيرة.

وبذلك بات العدو محاصر وقد داهمهم العطش وأجهدتهم شمس تموز فحاولوا الوصول إلى مصادر المياه قرب قرون حطين فلم يفلحوا لأن الجيش العربي بادئهم فدمرها قبل وصولهم ، ومما زاد الحالة سوء هو قيام العرب بحرق الأشواك اليابسة الكائنة في سفح الجبل ليزيد لهيبها ودخانها من تعاسة الأعداء ، وعندما حل الليل حرك القائد صلاح الدين قواته وطوق الهضبة.

ومع الضياء الأول ليوم 4 تموز شن العرب هجومهم مطبقين الصفحة الثانية للهجوم موقعين بهم الدمار فتارة ينقضون على مقدمتهم من الفرسان التي يقودها ريمون وتارة يشدون على القلب الذي كان بقيادة الملك غي دي لوسينيان وتارة أخرى يغيرون على الساقة التي يقودها رينوري شاتيون.

وبقي الجيش الاسلامي بشن ضرباته حتى المساء والأعداء في سكون لا يقدرون على مواصلة الزحف نحو البحيرة حيث الماء والراحة ، وعندما داهمهم التعب وفقدوا أمل المقاومة بدأ قسم منه يستسلم للعرب وعندما رأى

أمراءهم هذه الحالة فضلوا التراجع لذلك لذوا بالفرار معتصمين بقرون حطين ، وقد ازدادت متاعبهم عندما أحرق الجيش العربي المنافذ التي تخلصهم من الحصار فكانوا كلما تقدموا إلى أحد الممرات جوبهوا بخطوط نيران كثيفة مستورة بقوة من رماة السهام ، وبذلك بات الموقف في غير صالح الأعداء ، وعندما بزغ فجر يوم الجمعة 26 ربيع الثاني / 4 تموز تن تنفيذ الصفحة الثاني للهجوم بانقضاض العرب على الفلول المنحدرة من التلال وكان اللقاء عزوماً استبسل فيه الطرفان فتزاحفوا وتجالدوا حتى عد الصراع عنيفاً وقاهراً ، وما هي إلا ساعات كانت بها قوات الأعداء تعاني سكرات الانهيار حتى حسمت المعركة لصالح العرب المسلمين بعد أن انتهت أغلبية قوات الأعداء وتم أسر قسم كبير منهم ولم ينجوا غير 200 فارس على رأسهم الأمير ريمون الذي أراد فتح ثغرة في صفوف العرب ليستثمرها في الخروج وتهديد المسلمين من الخارج لكنه وبعد أن نجح في فتح الثغرة وأصبح خارج الحصار ولى هارباً بفرسانه مفضلاً الخلاص له ولجماعته لأنه أيقن بفشل محاولته ، أما بقية المحاصرين واللذين لم يستسلموا فقد كان عددهم لا يتجاوز المئات وقد اعتصموا بأحد التلال مع من بقي من الأمراء ، ولكن وبعد عدة هجمات تم أسرهم وجلبهم إلى مقر القائد صلاح الدين بعدها تم إجراء عملية إعادة تنظيم سريعة للتهيئة للمرحلة اللاحقة من الخطة ، ومن الجدير بالذكر أن القائد صلاح الدين ما أن رأى خيمة قادة الأعداء تسقط حتى خر ساجداً لله تعالى تيمناً بالنصر



نتائج معركة حطين

لعل من النتائج التعبوية لمعركة حطين هي ان هزيمة الصليبيين في معركة حطين قد كانت هزيمة فظيعة، حيث فقدوا فيها زهرة فرسانهم، وقُتلت فيها أعداد كبيرة من جنودهم، وأُسر الكثيرون أيضاً. وأصبح بيت المقدس في متناول صلاح الدين، وكان من بين الأسرى ملك بيت المقدس ومعه مائة وخمسون من الفرسان، ومعهم رينو دي شاتيون (أرناط) صاحب حصن الكرك وغيره من كبار قادة الصليبيين، وبعد المعركة، سرعان ما دخلت قوات صلاح الدين وأخوه الملك العادل المدن الساحلية كلها تقريباً جنوبي طرابلس، عكا، بيروت، صيدا، يافا، قيسارية، عسقلان. وقطع اتصالات مملكة القدس اللاتينية مع أوروبا، كذلك استولى على أهم قلاع الصليبيين جنوبي طبرية، واما عن نتائجها السوقية فلعل من أهمها انها قد مهّدت معركة حطين الطريق لمعركة تحرير بيت المقدس وباقي فلسطين فاعتبرها بعض المؤرخين حلقة وصل بين فتوحات نور الدين زنكي والظاهر بيبرس . كما وان الانتصار في هذه المعركة كان أكبر بكثير من كونه انتصاراً عسكرياً فحسب، بل كان صاعقة حلّت على الصليبين، مبشّرةً بالقضاء على أكبر حركة استعمارية واجهها المسلمون في ذاك الزمن، فبعد هذه المعركة توقّف المدّ الصليبي باتجاه الشرق الأدنى الإسلامي، فقد كانت حطين نقطة بدايةٍ جديدة لقلب موازين القوى وأظهرت التفوّق الإسلامي

على القوة الصليبية وخُتمت عندها مرحلة التراجع وأسّست لمرحلة الانتصار والتقدم، فكانت حطّين هي نقطة بداية النهاية للوجود الصليبي



معركة تحرير طبرية

بعد الانتصار الساحق للجيش الاسلامي في معركة حطين التاريخية الفاصلة لم يسكن للراحة بل أراد القائد صلاح الدين استثمار الفوز من خلال خطة محكمة ينجز فيها تحرير طبرية (8) الممتنعة عليه فزحف يوم الاحد 6 تموز / 28 ربيع الثاني نحو طبرية وطوق قلعتها الممتنعة فاستسلمت له دون قتال ولقد أخلى سبيل حاميتها وأكرم زوجة الأمير ريمون وأولادها ثم بعثهم إلى مقصدهم معززين بالحماية والهدايا ، وقد بقي القائد صلاح الدين في طبرية مدة يومين كاملين ينظم أمورها ويعيد تنظيم قواته مستعداً للصفحة الثانية من المهمة التحريرية ولقد غادرها مولياً عليها الأمير صارم الدين النجمي ليرعى شؤونها.

تحرير مدينة عكا وتخومها

ورحل القائد صلاح الدين طالبا مدينة عكا(9) فكان نزوله عليها يوم الأربعاء وقاتل الصليبيين بها بكرة يوم الخميس مستهل جمادى الأولى سنة 583هـ فأخذها واستنقذ من كان بها من أسارى المسلمين وكانوا أكثر من أربعة آلاف نفس واستولى على ما فيها من الأموال والذخائر والبضائع لأنها كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون والقلاع والأماكن المنيعة فأخذوا نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة وكان ذلك لخلوها من الرجال لأن القتل والأسر أفنى كثيرا منهم ولما استقرت قواعد عكا وقسم أموالها وأساراها سار يطلب تبنين فنزل عليها يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى وهي قلعة منيعة فنصب عليها المناجيق وضيق بالزحف خناق من فيها، فقاتلوا قتالا شديدا ونصره الله سبحانه عليهم فتسلمها منهم يوم الأحد ثامن عشرة عنوة وأسر من بقي فيها بعد القتل ثم رحل عنها إلى صيدا فنزل عليها وتسلمها في غد يوم نزوله عليها وهو يوم الأربعاء العشرون من جمادى الأولى وأقام عليها ريثما قرر قواعدها وسار حتى أتى بيروت فنازلها ليلة الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى وركب عليها المجانيق وداوم الزحف والقتال حتى أخذها في يوم الخميس التاسع والعشرين من الشهر المذكور وتسلم أصحابه جبيل وهو على بيروت، ولما فرغ من هذا الجانب رأى أن قصده عسقلان أولى لأنها أيسر من صور فأتى عسقلان ونزل عليها يوم الأحد السادس عشر من

جمادى الآخرة من السنة وتسلم في طريقه إليها مواضع كثيرة كالرملة والداروم وأقام في عسقلان المناجيق وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها في يوم السبت نهاية جمادى الآخرة من السنة وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غزة وبيت جبريل والنطرون بغير قتال وكان بين فتح عسقلان وأخذ الإفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنة فإنهم كانوا أخذوها من المسلمين في سنة 548هـ.

وقعة تحرير القدس العتيقة

بعد معركة حطين وتحرير طبرية أصبح أمام القائد صلاح الدين خيارين للتقدم نحو القدس أولهما التقدم مباشرة وعند الانتهاء من أمرها يتم التفرغ لبقية المدن التي تتوزع حولها ، والخيار الثاني هو تحرير المدن المذكورة أولاً ومن ثم التوجه بكامل الثقل نحو القدس ، ولقد اختار الأخير لأنه يتلاقى فيه توزيع القوة ويحصرها في جهد واحد وأنه يؤمن خطوط رجعته من تهديد تلك المدن إذا ما استخدمها العدو كقواعد صارمة ، كما أنه يحتاج إلى قوات إضافية لكي يستطيع تأمين خط رجعة ومسك طرق تقدمه إذا ما استخدم هذه الطريقة ، ولقد تقدم في يوم الأربعاء 28 ربيع الثاني / 8 تموز نحو هكا وبعد يومين دخلها دون مقاومة لأن صاحبها المدعو (جو سلين كوتناي) أتصل بالقائد صلاح الدين وطلب منه الأمان له ولحاميته مقابل تسليمه المدينة فوافق صلاح الدين وعند استلامها وجد فيها أسرى مسلمين يبلغ عددهم 4 آلاف ، وبعد أن تم تحرير عكا انطلقت قوة من الجيش بأمرة حسام الدين بن لاجين نحو نابلس ونجحت في تحريرها بعد السيطرة على قلعتها ، كما قامت قوات أخرى بتحرير مدينة الناصرة وحيفا وقيسارية وعفولة وصفورية وسبطية في نفس الوقت الذي قام به الملك المظفر تقي الدين عمر بمحاصرة تبين المنيعة إلى أن جاء صلاح الدين ودخل في يوم الأحد 18 جمادي الأول ثم توجهوا جميعاً نحو صيدا التي وجدوها خالية حيث هربت حاميتها بعدما علمت أن صلاح الدين بنفسه

يزحف إليهم ، وقد دخلها في 21 جمادي الأول ثم توجه فيها إلى بيروت التي استسلمت له بعد مقاومة قصيرة ولم يلبث أن زحف إلى عسقلان (باب القدس) التي تمثل عقدة المواصلات بين سوريا ومصر وكان معه أخيه الملك العادل وولده العزيز عثمان وقد حاصروها ، ولما رأى صلاح الدين أنها عصت عليه أوعز إلى الفعلة (الجهد الهندسي) بثقب السور الأمر الذي اضطر أهلها إلى التسليم دون شرط ، وقد تم منها إرسال بعض السرايا للسيطرة على حصون الصليبيين المتوزعة بأنحائها وهي غزة وبيت جبريل والقطرون ، حيث استسلمت الأخيرتين بعد مقاومة طفيفة ، أما غزة فقد استسلمت دون مقاومة بعد أن ساوم أهلها بإطلاق سرح أميرها الأسير لدى صلاح الدين وهو جراردي رد فوار مقابل تسليم المدينة فوفى صلاح الدين بوعده لهم.

وفي الوقت التي تمت فيه عمليات تحرير حصون الهيكليني كان الملك العادل شقيق القائد صلاح الدين يزحف ويطهر مجدل ويافا وبينما كان هوغ صاحب جبيل معتقلاً لدى العرب فأنه استخدم كرهينة مقابل تسليم حصن جبيل وقد أطلق سراحه مقابل فتح أبواب الحصن ، وقد تم أيضاً تحرير شقيف أرنون وصفد وحصونين بنفس الأسلوب السياسي ثم تبعتها الرملة والدا روم والخليل وبيت لحم ، حدث هذا كله في غضون شهرين بعدها وقف القائد صلاح الدين بجيشه الجرار على مشارق أبواب مدينة القدس الشريفة ينتظر تكبيرة الدخول.

رسالة صلاح الدين لأهل القدس

بالنظر لما تحمله مدينة القدس المشرفة من قدسية وحرمة لدى المسلمين فضل القائد صلاح الدين عدم مهاجمتها مباشرة بل عليه أولاً مفاوضة أهلها ، ولذلك بعث برسالة مفتوحة إلى أهل القدس قال فيها: (أني أنا نظيركم أيضاً وأعرف أن القدس هي بيت الله ولست آتياً لكي أدنس قدسيتها بسفك الدماء فعليكم أن تدعوها وأنا أكفيكم أمركم وأهب لكم من الأرض بقدر وتستطيعون أن تعملوا فيه) ، لكن دهاقنة الصليبيين وجهابذتهم رفضوا هذه الدعوة الكريمة وأبوا إلا ركب رؤوسهم ومقاومة قوات صلاح الدين حيث بعثوا برسالة جوابية له جاء فيها (أننا لا نسلمك المدينة ولا نبيعها)، وقد كان الدافع لرفضهم هو اغترارهم بعددهم الهائل أولاً وبقائدهم الذي كان توهمهم فيه على أنه الرجل الذي لا يعرف الخسارة إلا وهو (باليان بن بارزان أمير الرملة) ثانياً.

أهداف الطرفين

بعد رفض الأعداء لدعوة صلاح الدين الكريمة أصدر آمر الحركات الاعتيادي الذي يدعو فيه إلى بدئ الاستحضارات لتنفيذ عملية الهجوم المدبر على القدس وتحريرها بأسرع وقت ولقد قام بنفسه بإنجاز عملية تقدير الموقف للمهمة.

الجيش المسلم : كلمان الهدف المتوخى من زحف الجيش نحو القدس هو التحرير الكامل لهذه المدينة الشريفة التي تمثل أولى القبلتين وثالث الحرمين وبلد الانبياء بعد أن استولى عليها الغزاة وخيموا فيها قرابة مائة عام.

الجيش الصليبي : صد الجيش الاسلامي عن هدفه المتوخي ومنعه من تحقيق مقصده النهائي وبالتالي تحقيق شعار العرب الذي يرمي إلى اخراجهم من القدس الشريف إلى الأبد.

قوات الطرفين

الجيش المسلم : جند القائد صلاح الدين جميع الطاقات والامكانات ليوم النزال الحاسم ضد الغزاة ، حيث عبأ قواته التعبئة التي تمكنه من تحقيق الظفر ، وقد بين القائد صلاح الدين للمسؤولين عن استنفار الجند أنه يريد وقعة حاسمة يتحدد فيها مصير عز العرب ، وعليه يجب أن يتناسب وحجم القوة والقدرة على انجاز المهمة ، وقد بلغ تعداد القوات حجم تعدادها في حطين.

الجيش الصليبي : استنفر الأعداء فلولهم من جميع الأصقاع التابعة لمستعمرتهم وخاصة المجاميع المدحورة في المعارك السابقة وتجمعوا في القدس متخذين خطة الدفاع الثابت أي الدفاع على الأسوار ، وقد بلغ تعداد المدافعين عليها ستون ألف ما بين فارس وراجل يتقدمهم الامراء ويعلوهم الصليب.

خطة المسلمين لتحرير القدس

استهدفت خطة تحرير القدس الشريفة من قيادة الجيش المسلم انجاز الآتي:

1- القيام بالاستطلاع المفصل للسور والأرض المحايدة له لبيان المناطق الواهنة فيه لاعتمادها أماكن تسلل وهجوم والقيام باختيار جهة الهجوم الرسمي.

2- تعيين أماكن نصب المنجنيقات باعتبارها القوة التي تمهد بالقصف لقوات الصولة وتسندها في حركتها ومناورتها متوخين عدم تعارضها ومحاور الصولة للقوات الاقتحامية.

3- توزيع القوات حسب الواجبات المناطة إليها لتنفيذها مع ضمان مبدأ التعاون والاسناد المتبادل فيما بينها.

4- تعيين وقت الهجوم فجر يوم الجمعة لأن القائد صلاح الدين يتفاءل به.

5- تقرير إشارة الميدان لاستخدامها كوسائل اتصال في حالة الاشتباك إلا وهي القرع في الكوسات.

موقف ما قبل تحرير القدس

1- تمتنع داخل أسوار القدس قوى متضادة في النوايا والنهج وتجمعها المصالح المادية المشتركة فقط ، أما في عقيدتها فهي غير متجانسة حيث تتكون من طوائف مختلفة المذهب والمواطن واللغة والدم منها لاتينية كاثوليكية ومنها بيزنطية أرثوذكسيه.

بينما تواجهها خارج الأسوار قوة إسلامية موحدة ومتجانسة يحملها روح الجهاد وتغذيها مقومات الأمة العربية.

2- أن لسيطرة صلاح الدين على المدن الساحلية والقلاع المنتشرة بالداخل قد سد بوجه القدس أي طريق للتموين الخارجي كما وأن المؤن الموجودة في داخل القدس غير كافية لفترة طويلة ، الأمر الذي جعل القدس أثناء حصار صلاح الدين لها تواجه حصار اقتصادي مؤثر على عكس الجيش المسلم الذي سيطر على مصادر التموين وعلى المزارع وضمن طرق المواصلات التي تربطه بقاعدة العمليات التي يرتكز عليها ويتمدد منها

3- التباين في المعنويات بين الفريقين حيث أن الجيش الصليبي يضم محاربين هاربين من معارك سابقة وقد لمسوا فيها عظمة الجيش المسلم وسماحة وكرم قائده كما رأوا الهزيمة بأعينهم مما أنعكس أثر ذلك على

معنوياتهم في الاستعداد للدفاع من جديد بينما الجيش العربي يتمتع بأعلى درجات المعنوية التي تغذيها عدالة القضية التي جاءوا للجهاد من أجلها.

سير معركة تحرير القدس

وصلت قوات صلاح الدين في 15 رجب / 22 أيلول إلى التخوم الغربية للقدس وكانت وقتها تعج بالمقاتلين الذين فروا إليها بعد هزائمهم السابقة أمام المسلمين، بحيث أصبحت ملجأ كل صليبيو الشام حتى بلغ عدد المعتصمين فيها يبلغ ال ستين ألفً، وقد قرروا الصمود في الدفاع عن المدينة حتى الموت. وكان اول اجراء اتخذه صلاح الدين هو اعتبار الجهة الغربية للقدس منطقة اجتماع ولقد كان من المقرر أن يكون الهجوم من هذه الجهة ولكن لحصانة السور ولوجود الأبراج العالية فيه وكثرة المدافعين عنه قرر القائد صلاح الدين البحث عن موضع آخر، ولهذا قام بالالتفاف حول سور القدس المنيع وبقي يدور حوله خمسة أيام قضاها في الدراسة والتحليل لمكامن الضعف فيه وفي اليوم السادس المصادف 20 رجب / 27 أيلول ، عثر على المكان الملائم في الجهة الشمالية المواجهة لباب عمود وكنيسة صهيون لانفتاح الجبهة ولأنها تواجه أوهن أجزاء السور ولأن الشمس ستكون في ظهر المسلمين ، ولأجل تطبيق الخطة هيأ قواته وتم نصب المنجنيقات على جبل زيتا (الزيتون) وتهيئة أدوات الحصار وأخذوا في قصف المدينة بالمجانيق مع محاولة اقتحام المدينة ودافع الصليبيون بشراسة، وحمي الوطيس بشدة، وحنق المسلمون واشتدوا في قتالهم وفي اليوم التالي حدثت اشتباكات وقد حسمت لصالح المسلمين بعدها زحف الجيش المسلم فأزال الاعداء عن مواقعهم واضطرهم إلى دخول المدينة والاحتماء خلف الأسوار ولم يتوقف الجيش المسلم بل نجح في عبور الخندق الذي يطيف السور وبعدها قام صنف الفعلة (الجهد الهندسي)

بالحفر في السور يغطيهم قصف المنجنيقات وقاذفات السهام التي ما فتأت تشاغل الأعداء وتعطي مجال للعاملين وقد تمكن صنف الفعلة من أحداث ثقوب في أربعين موضع من السور وحشوها بالأخشاب لإشعال النيران داخلها الأمر الذي أثر على معنويات الأعداء وأدى إلى تخلخل جبهتهم الداخلية ، مما جر إلى إرسال ملك القدس باليان الرسل الى صلاح الدين لطلب الأمان مقابل تسليمه مفاتيح القدس، وطلب يتم ذلك صلحًا، نظير تأمينهم على أنفسهم وأموالهم، ولكن صلاح الدين رفض بشدة قائلاً: لا أفتحها إلا عنوة، كما افتتحتموها أنتم عنوة ، وبلغ اليأس بالصليبي باليان مداه فرد على صلاح الدين قائلاً: إن لم تعطنا الأمان رجعنا، فقتلنا كل نسائنا وأطفالنا وأسرى المسلمين وكانوا أربعة آلاف أسير ثم حرقنا الدور، وهدمنا قبة الصخرة والمسجد الأقصى، ثم نخرج لكم بسيوفنا، نقاتل قتال من لا يرجو الحياة، وعندها وازن صلاح الدين بين المصالح والمفاسد ورأى أن المصلحة في قبول الصلح مع اشتراط الفدية. وقد وافق القائد على طلبهم بعد مداولات مع أركان حربه على الرغم من أن مدينة القدس باتت ساقطة بين يديه بعد تهديم السور وبعد أن أمست تحت رحمة مجانيق جيش المسلمين ، حيث أن صلاح الدين مال إلى الجانب الإنساني متوخياً عدم إراقة الدماء في هذه الأرض المقدسة متوخياً المحافظة على الأماكن المقدسة والمعالم الأثرية الإسلامية من التخريب وعلى الأسرى المسلمين البالغ تعدادهم خمسة آلاف أسير.



التمام من تحرير القدس

وفي يوم الجمعة 27 رجب سنة 583هجرية الموافقة لـ 2 / 10 حيث كان العالم بانتظار لحظات حاسمة لمصير القدس ، دخل القائد صلاح الدين بجيشه المكبر اسم الله مدينة القدس فاستقبلته الجماهير المسلمة بالتهاليل والهتاف وأذنت المآذن تيمناً بهذه البشرى العظيمة التي انتظرها العرب قرابة المائة عام . وطافت مواكب الجيش الفاتح بقيادة صلاح الدين حول بيت المقدس، بعد أن ظل بيد الصليبيين منذ سنة 492هـ، أي لأكثر من تسعين سنة، ووقعت مشاهد مضيئة من التسامح والعفو من جانب صلاح الدين بحق الأسرى الصليبيين، اعترف بها المؤرخون الغربيون أنفسهم.

والحقيقة التي تتجلى في هذا الحدث العظيم، أن المسلمين وقتها رغم ضعفهم، وتفرقهم، وسطوة عدوهم، لم يدخل اليأس في قلوبهم، على الرغم من طول احتلال الأعداء لبيت المقدس، فلم يعترف أي أمير أو ملك مسلم بالاحتلال الصليبي لبيت المقدس، ولم يعط صك ملكية لهم بمقدسات المسلمين بدعوى طول المقام والتسليم بالأمر الواقع، بل ظل المسلمون في سعي حثيث لتحرير البيت، تارة يتقدمون وتارة يتعثرون، تارة ينتصرون وأخرى ينهزمون، ولكنهم واصلوا السير ولم ينقطعوا حتى تحقق المراد وتحررت البلاد، وهذا هو الطريق والسبيل، إذا أردنا أن نحرر البلاد المقدسة مرة أخرى.

وهكذا عادت القدس إلى أحضان العروبة معززة بروح الرسالة الإسلامية ومتنعمة بحمى المجاهدين من أبناء الأمة العربية.

وعلى الرغم من سيادة نشوة النصر تصاعد وتيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين فإن المصادر التاريخية الإسلامية تفيض بذكر حالات أبدى فيها القائد صلاح الدين من التسامح والرحمة والكرم العربي الشيء الوافر. كما والتزم جيشه أثناء الاستعراض بالشوارع بآداب السلام السمحة وبروح الفروسية الشريفة في معاملتهم للرعايا الأجانب وعدم انتهاكهم للحرمات أو نهبهم للمحلات والدور أو تجاوزهم في التعامل ولقد توج نبله بان أمر حراسه بالمناداة في شوارع بيت المقدس، بأنه سوف يطلق سراح من لم يستطع دفع الفدية من الصليبيين لكبر سنه وعندما طلب بعض المتعصبين منه هدم أماكن عبادة المسيحيين وتدمير كنيسة القيامة بهدف إلغاء حج المسيحيين "المؤمنين بالثالوث المقدس صدهم عن ذلك بكلمة قال فيها (لنفعل، كما فعل الخليفة عمر الذي احتفظ بهذه الأبنية عندما فتح القدس في السنوات الأولى للإسلام) مما أثار إعجاب المؤرخين اللاتين الذين سردوا احداثها.

خطبة جمعة الفتح

كان من المصادفات الجليلة هي ان دخول مواكب الفاتحين الى القدس انما كان في صبيحة يوم جمعة ما وجب ان تقام صلاة الجمعة وان تكون هناك خطبة، شكلت اول خطبة تلقى في المسجد الأقصى بعد انقطاع دام امد طويل، ولقد جاء تاريخ القاء هذه الخطبة التي قيلت بعد فتح بيت المقدس على يد البطل صلاح الدين الأيوبي في يوم 27 رجب لعام583هـ الموافق 2 أكتوبر :

روى أبو شامة في الروضتين ، قال العماد: وخطب القاضي محيي الدين بن زكي الدين أربع خطب في أربع جمع، متتالية ولقد افتتاحها بهذه الآيات البينات : { فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين } و الآية { الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين } والآية { الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور } والآية { وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا } الآية { الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب } والآية { قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى } والآية { الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض } { الحمد لله فاطر السماوات والأرض }. وجاء بأول خطبة ما نصه:

(الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومديم النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولا

بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاء على عباده من ظله، وأظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والأمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع. أحمده على إظفاره وإظهاره، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد الذي { لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد } شهادة من طهر بالتوحيد قلبه وأرضى به ربه وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله رافع الشك، وداحض الشرك، وراحض الإفك، الذي أسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى، وعرج به منه إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى، صلى الله عليه وعلى خليفته أبي بكر الصديق السابق إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القرآن، وعلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزل الشرك ومكسر الأوثان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان. أيها الناس أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة، من الأمة الضالة، وردها إلى مقرها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مئة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه وإماطة

الشرك عن طرقه بعد أن إمتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ورفع قواعده بالتوحيد فإنه بني عليه وبالتقوى فإنه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم محمد عليه السلام وقبلتكم التي كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومفر الرسل ومهبط الوحي ومنزل تنزل الأمر والنهي وهو في أرض المحشر وصعيد المنشر وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذي شرفه الله برسالته وكرمه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته فقال تعالى { لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله } وقال { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم }

وهو أول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ولا يباريكم في شرفها مبار فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية والفتوح العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم للإسلام أيام القادسية والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيبرية والهجمات

الخالدية فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء وأثابكم الجنة فهي دار السعداء فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله تعالى بواجب شكرها فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه الخدمة فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء وابتهج به الملائكة المقربون وقر به عينا الأنبياء والمرسلون فماذا عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح عليه البيت المقدس في آخر الزمان والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة أعلام الإيمان فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء أكثر من التهاني به بين أهل الغبراء أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في خطابه فقال تعالى { سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله } الآية أليس هو البيت الذي عظمته الملوك وأثنت عليه الرسل وتليت فيه الكتب الأربعة المنزلة من إلهكم عز وجل أليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل الشمس على يوشع لأجله أن تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان وغضب عليهم لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل وقد فضلهم على العالمين ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين وجمع لأجله كلمتكم

وكانت شتى وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى فليهنكم أن الله قد ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لأهويتكم جنده وشكركم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالآن يستغفر لكم أملاك السموات وتصلي عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم واحذروا من إتباع الهوى وموافقة الردى ورجوع القهقرى والنكول عن العدى وخذوا في انتهاز الفرصة وإزالة ما بقي من الغصة وجاهدوا في الله حق جهاده وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من

عباده وإياكم أن يستزلكم الشيطان وأن يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم أن هذا النصر بسيوفكم الحداد وبخيولكم الجياد وبجلادكم في مواطن الجلاد لا والله { وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم } واحذروا عباد الله بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين وأعلق أيديكم بحبله المتين أن تقترفوا كبيرا من مناهيه وأن تأتوا عظيما من معاصيه فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين والجهاد الجهاد فهو من أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم اذكروا الله يذكركم

اشكروا الله يزدكم ويشكركم جدوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا أصوله فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية والملة المحمدية. الله أكبر فتح الله ونصر غلب الله وقهر أذل الله من كفر

واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فأخرجوا لها هممكم وبرزوها وسيروا إليها سرايا عزماتكم وجهزوها فالأمور بأواخرها والمكاسب بذخائرها فقد أظفركم الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم أو يزيدون فكيف وقد أضحى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون وقد قال الله تعالى { إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين } أعاننا الله وإياكم على إتباع أوامره والازدجار بزواجره وأيدنا معشر المسلمين بنصر من عنده { إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده } وتمام الخطبة والخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة وقال بعد الدعاء للخليفة اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك المعترف بموهبتك سيفك القاطع وشهابك اللامع والمحامي عن دينك المدافع والذاب عن حرمك الممانع السيد الأجل الملك الناصر جامع كلمة الإيمان وقامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين مطهر البيت المقدس أبي المظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين اللهم عم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك براياته محيطة وأحسن عن الدين

الحنيفي جزاءه واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه اللهم أبق للإسلام مهجته ووق للإيمان حوزته وانشر في المشارق والمغارب دعوته اللهم كما فتحت على يده البيت المقدس بعد أن ظنت الظنون وابتلي المؤمنون فافتح على يده أداني الأرض وأقاصيها وملكه صياصي الكفرة ونواصيها فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ولا جماعة إلا فرقها ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه وأنفذ في المشارق والمغارب أمره ونهيه اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها وأرجاء الممالك وأكنافها اللهم ذلل به معاطس الكفار وأرغم به أنوف الفجار وانشر ذوائب ملكه على الأمصار وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار اللهم ثبت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين واحفظه في بنيه وبني أبيه الملوك الميامين واشدد عضده ببقائهم واقض بإعزاز أوليائه وأوليائهم اللهم كما أجريت على يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام وتتخلد على مر الشهور والأعوام فارزقه الملك الأبدي الذي لا ينفد في دار المتقين وأجب دعاءه في قوله (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) .

العوامل المساعدة في التحرير

1- لقد تأكد لدى صلاح الدين أنه لا مجال للتحرير إلا بالعمل الجاد والدقيق والتهيئة للأمر والإعداد المسبق له إعداداً كاملاً وقد انجز كافة مهمات الغاية بسياسة وحنكة عظيمتين.

2- ضعف وجهل القيادة المعادية بفن الحرب جعلها تتردد في الكثير من المواقف مما أدى إلى سوء في التقديرات وضيق في الاطلاع الذي كان ضياع الكثير من الفرص الحربية منها.

3- اختلاف الأمراء الأعداء فيما بينهم وانضوائهم تحت قيادة غي دي لوسينيان الذي تنقصه الفروسية والحكمة والاستقلالية جعل عملية إدارة العمليات تبدوا ضعيفة.

4- للتكتيك الحربي الرائع الذي استخدمه القائد صلاح الدين بعبقريته وبفهمه للأرض التي سيحارب عليها دور مؤثر أيضاً.

5- قيام القائد صلاح الدين بعقد اتفاقية عدم اعتداء مع الدولة البيزنطية حيث أتصل بعاهلها الذي يكن الحقد للفرنجة ووضع بيزنطة على الحياد فتخلص من خطر فتح جبهة ثانية ضده.



6- أبطل صلاح الدين نوايا أكبر حركة شعوبية كان همها القضاء على كل من يسعى لتوحيد البلاد وأقصد بها حركة الحشاشين حيث جعلها بسياسته تكون معه ضد عدوه.

7- أن ظاهرة نبذ الخلافات بين الأطراف العربية وتوحيد الصف وحشد القوى وتهيئتها للصراع المصيري من أجل تطهير كامل التراب العربي كان عملية تطويق للأعداء من كل الجهات.

8- قيام القائد صلاح الدين بجلب العلماء والايعاز إليهم بالبحث لإيجاد أسلحة تدميرية جديدة لمواكبة أسلحة العدو والوصول بالقوة الحربية إلى أقصى درجات القدرة والتفوق.

9- لقد كانت فترة الهدنة مع الأعداء ضرورية جداً حيث استطاع فيها صلاح الدين من انجاز الأعداد والحشد المناسبين ومن استكمال بناء الجيش وفق مستجدات العصر.

10- ايمان المقاتلين العرب بعدالة القضية التي يقاتلون من أجلها وطاعتهم الواعية لقادتهم الذين تتوفر فيهم كل صفات القيادة الناجحة.

11- أن لاتصاف القائد صلاح الدين بروح التسامح مع الأعداء وحسن معاملته لأسراهم أثرهما الكبير في حسم الحرب لصالحه بالوقت القياسي وفي أقل التضحيات.

12- كان للاستطلاع الجيد الذي قامت به عناصر (العيون) دوراً مؤثراً وبارز في تقرير نتائج العمليات ، حيث زودت هيئة الركن بالمعلومات الشاملة والدقيقة التي اعتمد عليها في تعيين نوع العمليات واتخاذ الإجراءات الكفيلة بنجاحها.

13- انجز القائد صلاح الدين تخريب أسوار المدن التي تم تحريرها لمنع احتمال استخدامها لاحقاً من قبل المرتدين عن العهود وجعلها مواقع لتهديد جيش التحرير من الخلف.

14- كان للتأييد والدعم المعنوي للخليفة الناصر لدين الله أبلغ الأثر في إكساب المهمة الشرعية الرسمية للدولة العربية الإسلامية ولمركز الخلافة.

حصار صور وفتحها

في المدة من 12 نوفمبر 1187 حتى 1 يناير 1188م. قام جيش المسلمين تحت قيادة صلاح الدين الأيوبي بهجوم برمائي على مدينة صور(10) التاريخية التي احتلت من قبل الإفرنج في العام 1111م ، ولكن قام بصده كونراد من مونفيراتو، وبعد شهرين من النضال المستمر، سحب صلاح الدين جيشه وتراجع إلى عكا. ووفقا للمؤرخ وليم الصوري، فإن رينالد من صيدا حاول التفاوض على الاستسلام مع صلاح الدين الأيوبي. انتهز كونراد الفرصة، وألقى رسالة صلاح الدين في الخندق، وجعل الصوريين يقسمون له على الولاء التام. وباستيلائه على السلطة، رحل رينالد إلى قلعته الخاصة قلعة الشقيف على نهر الليطاني. أعاد كونراد تنظيم دفاعات صور، وأسس حكومة محلية.

وعندما وصل جيش صلاح الدين، وجدوا المدينة محصنة جيدًا. صمدت صور جيدًا أمام الحصار، فانصرف صلاح الدين عنها لفتح قيصرية وأرسوف ويافا. عندئذ، أرسل كونراد رئيس أساقفة صور، إلى الغرب لطلب المساعدات.

وفي نوفمبر 1187، عاد صلاح الدين ثانية لحصار صور. كان كونراد لا يزال في قائدًا للمدينة، وكان كل مدينة يفتحها العرب يفر مقاتليها إلى صور، فامتلأت المدينة بالمقاتلين وعائلاتهم. هذه المرة، حاصرها صلاح



الدين برًا وبحرًا. وقد ذكر المؤرخون الغربيون حادثة حدثت أثناء هذا الحصار، عندما عرض صلاح الدين إطلاق ويليام الخامس من مونفيراتو والد كونراد الذي أُسر في معركة حطين، بالإضافة إلى عطية لكونراد إن سلّم المدينة. إلا أن الرجل العجوز نهى ابنه رغم تهديد المصريون بقتله. ففشل هذا التفاوض، وأُطلق سراح ويليام بعد ذلك في عام 1188 في طرطوس، وعاد إلى ابنه.

وفي 30 ديسمبر 1187، أغارت سفن كونراد على سفن الأسطول المصري، واستولت على عدد منها. حاولت السفن المتبقية المصرية الهرب إلى بيروت، لكن سفن كونراد طاردتها، واضطر المصريون إلى إرساء سفنهم على الشاطئ والفرار.[1] عندئذ، شنّ صلاح الدين الأيوبي هجومًا على المدينة، معتقدًا أنهم منشغلون بالمعركة البحرية. إلا أن صمود المدينة جعل صلاح الدين ينهي حصاره مرة أخرى.

يقول بن شداد: لما فتح صلاح الدين القدس حسن عنده قصد صور وعلم أنه إن أخر أمرها ربما عسر عليه فسار نحوها حتى أتى عكا فنزل عليها ونظر في أمورها ثم رحل عنها متوجها إلى صور في يوم الجمعة خامس شهر رمضان من السنة(583هـ) فنزل قريبا منها وسير لإحضار آلات القتال ولما تكاملت عنده نزل عليها في ثاني عشر الشهر المذكور وقاتلها وضايقها قتالا عظيما واستدعى أسطول مصر فكان يقاتلها في البر والبحر

ثم سير من حاصر هونين فسلمت في الثالث والعشرين من شوال من السنة، ثم خرج أسطول صور في الليل فهاجم أسطول المسلمين وأخذوا المقدم والريس وخمس قطع للمسلمين وقتلوا خلقا كثيرا من رجال المسلمين وذلك في السابع والعشرين من الشهر المذكور وعظم ذلك على السلطان وضاق صدره وكان الشتاء قد هجم وتراكمت الأمطار وامتنع الناس من القتال لكثرة الأمطار فجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه بالرحيل لتستريح الرجال ويجتمعوا للقتال فرحل عنها وحملوا من آلات الحصار ما أمكن وأحرقوا الباقي الذي عجزوا عن حمله لكثرة الوحل والمطر وكان رحيله يوم الأحد ثاني ذي القعدة من السنة وتفرقت العساكر وأعطى كل طائفة منها دستورا وسار كل قوم إلى بلادهم وأقام هو مع جماعة من خواصه بمدينة عكا إلى أن دخلت سنة 584هـ ثم نزل على كوكب في أوائل المحرم من السنة ولم يبق معه من العسكر إلا القليل وكان حصنا حصينا وفيه الرجال والأقوات فعلم أنه لا يؤخذ إلا بقتال شديد فرجع إلى دمشق، وأقام بدمشق خمسة أيام. ثم بلغه أن الإفرنج قصدوا جبيل واغتالوها فخرج مسرعا وكان قد سير يستدعي العساكر من جميع المواضع وسار يطلب جبيل فلما عرف الإفرنج بخروجه كفوا عن ذلك.

التمام من تحرير كامل الشام

قال ابن شداد في السيرة : لما كان يوم الجمعة رابع جمادى الأولى من سنة 584هـ دخل السلطان ممالك العدو على تعبية حسنة ورتب الأطلاب وسارت الميمنة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الأخير ومقدمها [مظفر الدين ابن زين الدين] فوصل إلى انطرسوس ضاحي نهار الأحد سادس جمادى الأولى فوقف قبالتها ينظر إليها لأن قصده كان جبلة فاستهان بأمرها وعزم على قتالها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر والميسرة على الجانب الآخر ونزل هو موضعه والعساكر محدقة بها من البحر إلى البحر وهي مدينة راكبة على البحر ولها برجان كالقلعتين فركبوا وقاربوا البلد وزحفوا واشتد القتال وباغتوها فما استتم نصب الخيام حتى صعد المسلمون سورها وأخذوها بالسيف وغنم المسلمون جميع من بها وما بها وأحرق البلد و أقام عليها إلى رابع عشر جمادى الأولى وسلم أحد البرجين إلى مظفر الدين فما زال يحاربه حتى أخربه واجتمع به ولده الملك الظاهر لأنه كان قد طلبه فجاءه في عسكر عظيم، ثم سار يريد جبلة وكان وصوله إليها في ثاني عشر جمادى الأولى وما استتم نزول العسكر عليها حتى أخذ البلد وكان فيه مسلمون مقيمون وقاض يحكم بينهم وقوتلت القلعة قتالا شديدا ثم سلمت بالأمان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى من السنة وأقام عليها إلى الثالث والعشرين منه، ثم سار عنها إلى اللاذقية وكان نزوله عليها يوم

الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأولى وهو بلد مليح خفيف على القلب غير مسور وله ميناء مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد واشتد القتال إلى آخر النهار فأخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة لأنه كان بلد التجار وجدوا في أمر القلعتين بالقتال والنقوب حتى بلغ طول النقب ستين ذراعا وعرضه أربعة أذرع فلما رأى أهل القلعتين الغلبة لاذوا بطلب الأمان وذلك في عشية يوم الجمعة الخامس والعشرين من الشهر والتمسوا الصلح على سلامة نفوسهم وزراريهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الذخائر والسلاح وآلات الحرب فأجابهم إلى ذلك ورفع العلم الإسلامي عليها يوم السبت وأقام عليها إلى يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الأولى فرحل عنها إلى صهيون فنزل عليها يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من الشهر واجتهد في القتال فأخذ البلد يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة ثم تقدموا إلى القلعة وصدقوا القتال فلما عاينوا الهلاك طلبوا الأمان فأجابهم إليه بحيث يؤخذ من الرجل عشرة دنانير ومن المرأة خمسة دنانير ومن كل صغير ديناران الذكر والأنثى سواء و أقام السلطان بهذه الجهة حتى أخذ عدة قلاع منها بلاطنس وغيرها من الحصون المنيعة المتعلقة بصهيون، ثم رحل عنها وأتى بكاس وهي قلعة حصينة على العاصي ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول عليها يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة وقاتلوها قتالا شديدا إلى يوم الجمعة تاسع الشهر ثم يسر الله فتحها عنوة فقتل أكثر من بها وأسر الباقون وغنم المسلمون جميع ما كان فيها ولها

قليعة تسمى الشغر وهي في غاية المنعة يعبر إليها منها بجسر وليس عليها طريق فسلطت المناجيق عليها من جميع الجوانب ورأوا أنهم لا ناصر لهم فطلبوا الأمان وذلك يوم الثلاثاء ثالث عشر الشهر ثم سألوا المهلة ثلاثة أيام فأمهلوا وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلعتها يوم الجمعة سادس عشر الشهر.

ثم سار إلى برزية وهي من الحصون المنيعة في غاية القوة يضرب بها المثل في بلاد الإفرنج تحيط بها أودية من جميع جوانبها وعلوها خمسمائة ونيف وسبعون ذراعا وكان نزوله عليها يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر ثم أخذها عنوة يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه.

ثم سار إلى دربساك فنزل عليها يوم الجمعة ثامن رجب وهي قلعة منيعة وقاتلها قتالا شديدا ورقي العلم الإسلامي عليها يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب وأعطاها الأمير علم الدين سليمان بن جندر وسار عنها بكرة يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر. ونزل على بغراس وهي قلعة حصينة بالقرب من إنطاكية وقاتلها مقاتلة شديدة وصعد العلم الإسلامي عليها في ثاني شعبان وراسله أهل إنطاكية في طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر من البيكار وكان الصلح معهم لا غير على أن يطلقوا كل أسير عندهم والصلح إلى سبعة أشهر فإن جاءهم من ينصرهم و سلموا البلد.

ثم رحل السلطان فسأله ولده الملك الظاهر صاحب حلب أن يجتاز به فأجابه إلى ذلك فوصل حلب في حادي عشر شعبان أقام بالقلعة ثلاثة أيام وولده يقوم بالضيافة حق القيام، وسار من حلب فاعترضه تقي الدين عمر ابن أخيه وأصعده إلى قلعة حماة وصنع له طعاما وأحضر له سماعا من جنس ما تعمل الصوفية وبات فيها ليلة واحدة وأعطاه جبلة واللاذقية، وسار على طريق بعلبك ودخل دمشق قبل شهر رمضان بأيام يسيرة، ثم سار في أوائل شهر رمضان يريد صفد فنزل عليها ولم يزل القتال حتى تسلمها بالأمان في رابع عشر شوال. ثم سار إلى كوكب وضايقوها وقاتلوها مقاتلة شديدة والأمطار متواترة والوحول متضاعفة والرياح عاصفة والعدو متسلط بعلو مكانه فلما تيقنوا أنهم مأخوذون طلبوا الأمان فأجابهم إليه وتسلمها منهم في منتصف ذي القعدة من السنة.

حملة (الملوك) وامر عكا

لقد كان لوقع اخبار الانتصارات التى حققها القائد صلاح الدين على الصليبيين في بلاد الشام أثرها العظيم في أوروبا، لا سيما بر سقوط بيت المقدس في أيدى المسلمين في سنة ١١٨٧ بعد موقعة حطين، وانكماش الممالك الصليبية في بلاد الشام، مما جعل صوت البابوية يرتفع مجدداً منادياً ملوك أوروبا وأمراءها للقيام بحملة صليبية جديدة تسترد بيت المقدس والممالك المفقودة ، اذ أعلن البابا ، غريغوري الثامن، أن استرجاع المسلمين للقدس كان عقابا من الله للمسيحيين بسبب خطاياهم في جميع أنحاء أوروبا. ثم صرخ داعيا إلى حملة صليبية جديدة لاسترجاع الأراضي المقدسة كلها. وقد استجاب لها ثلاثة من أكبر ملوك أوروبا. فكان من ذلك الحملة الصليبية الثالثة (1189–1192)، والتي تعرف أيضا باسم (حملة الملوك)، وكانت محاولة من قبل القادة الأوروبيين لاستعادة الأراضي المقدسة من صلاح الدين الأيوبي. وكانت حملة ناجحة إلى حد كبير، اذ اعيد فيها احتلال مدنا هامة مثل عكا (9) ، مسببة في ضياع بعضا من مكاسب مهمة لفتوحات القائد صلاح الدين الأيوبي.

بلغ القائد صلاح الدين أن الإفرنج قصدوا عكا ونزلوا عليها يوم الاثنين ثالث عشر رجب سنة 585هـ فأتى عكا ودخلها بغتة لتقوى قلوب من بها و استدعى العساكر من كل ناحية فجاءته وكان العدو بمقدار ألفي فارس

وثلاثين ألف راجل ثم تكاثر الإفرنج واستفحل أمرهم وأحاطوا بعكا ومنعوا من يدخل إليها ويخرج وذلك يوم الخميس فضاق صدر السلطان لذلك ثم اجتهد في فتح الطريق إليها لتستمر السابلة بالميرة والنجدة وشاور الأمراء فاتفقوا على مضايقة العدو لينفتح الطريق ففعلوا ذلك وانفتح الطريق وسلكه المسلمون ودخل السلطان عكا فأشرف على أمورها ثم جرى بين الفريقين مناوشات في عدة أيام وتأخر الناس إلى تل العياضية وهو مشرف على عكا . قال ابن شداد ثم إن الإفرنج جاءهم الإمداد من داخل البحر واستظهروا على الجيوش الإسلامية بعكا وكان فيهم الأمير سيف الدين علي بن أحمد المعروف بالمشطوب الهكاري والأمير بهاء الدين قراقوش الخادم الصلاحي وضايقوهم أشد مضايقة إلى أن غلبوا عن حفظ البلد فلما كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من سنة 587هـ خرج من عكا رجل عوام ومعه كتب من المسلمين يذكرون حالهم وما هم فيه وأنهم قد تيقنوا الهلاك ومتى أخذوا البلد عنوة ضربت رقابهم وأنهم صالحوا على أن يسلموا البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدة والأسلحة والمراكب ومائتي ألف دينار وخمسمائة أسير مجاهيل ومائة أسير معينين من جهتهم وصليب الصلبوت على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم وزراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس لأنه كان الواسطة في هذا الأمر أربعة آلاف دينار ولما وقف السلطان على الكتب المشار إليها أنكر ذلك إنكارا عظيما وعظم عليه هذا الأمر وجمع أهل الرأي من أكابر

دولته وشاورهم فيما يصنع واضطربت آراؤه وتقسم فكره وتشوش حاله وعزم على أن يكتب في تلك الليلة مع العوام وينكر عليهم المصالحة على هذا الوجه وهو يتردد في هذا فلم يشعر إلا وقد ارتفعت أعلام العدو وصلبانه وناره وشعاره على سور البلد وذلك في ظهيرة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة من السنة وصاح الإفرنج صيحة عظيمة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين واشتد حزنهم ووقع فيهم الصياح والعويل والبكاء والنحيب. ثم ذكر ابن شداد بعد هذا أن الإفرنج خرجوا من عكا قاصدين عسقلان ليأخذوها وساروا على الساحل والسلطان وعساكره في قبالتهم إلى أن وصلوا إلى أرسوف فكان بينهما قتال عظيم ونال المسلمين منه وهن شديد ثم ساروا على تلك الهيئة تتمة عشر منازل من مسيرهم من عكا فأتى السلطان الرملة وأتاه من أخبره بأن القوم على عزم عمارة يافا وتقويتها بالرجال والعدد والآلات فأحضر السلطان أرباب مشورته وشاورهم في أمر عسقلان وهل الصواب خرابها أم بقاؤها فاتفقت آراؤهم أن يبقى الملك العادل في قبالة العدو ويتوجه هو بنفسه ويخربها خوفا من أن يصل العدو إليها ويستولي عليها وهي عامرة ويأخذ بها القدس وتنقطع بها طريق مصر وامتنع العسكر من الدخول وخافوا مما جرى على المسلمين بعكا ورأوا أن حفظ القدس أولى فتعين خرابها من عدة جهات وكان هذا الاجتماع يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانين وخمسمائة فسار إليها فجر الأربعاء ثامن عشر الشهر قال ابن شداد وتحدث معي في معنى خرابها

بعد أن تحدث مع ولده الملك الأفضل في أمرها أيضا ثم قال لأن أفقد ولدي جميعهم أحب إلي من أن أهدم منها حجرا ولكن إذا قضى الله تعالى ذلك وكان فيه مصلحة للمسلمين فما الحيلة في ذلك قال ولما اتفق الرأي على خرابها أوقع الله تعالى في نفسه ذلك وأن المصلحة فيه لعجز المسلمين عن حفظها وشرع في خرابها فجر يوم الخميس التاسع عشر من شعبان من السنة وقسم السور على الناس وجعل لكل أمير وطائفة من العسكر بدنة معلومة وبرجا معينا يخربونه ودخل الناس البلد ووقع فيهم الضجيج والبكاء وكان بلدا خفيفا على القلب محكم الأسوار عظيم البناء مرغوبا في سكنه فلحق الناس على خرابه حزن عظيم وعظم عويل أهل البلد عليه لفراق أوطانهم وشرعوا في بيع ما لا يقدرون على حمله فباعوا ما يساوي عشرة دراهم بدرهم واحد وباعوا اثني عشر طير دجاج بدرهم واحد واختبط البلد وخرج الناس بأهلهم وأولادهم إلى المخيم وتشتتوا فذهب قوم منهم إلى مصر وقوم إلى الشام وجرت عليهم أمور عظيمة واجتهد السلطان وأولاده في خراب البلد كي لا يسمع العدو فيسرع إليه ولا يمكن من خرابه وبات الناس على أصعب حال وأشد تعب مما قاسوه في خرابها وفي تلك الليلة وصل من جانب الملك العادل من أخبر أن الإفرنج تحدثوا معه في الصلح وطلبوا جميع البلاد الساحلية فرأى السلطان أن ذلك مصلحة لما علم من نفس الناس من الضجر من القتال وكثرة ما عليهم من الديون وكتب إليه يأذن له في ذلك وفوض الأمر إلى رأيه وأصبح يوم الجمعة

العشرين من شعبان وهو مصر على الخراب واستعمل الناس عليه وحثهم على العجلة فيه وأباحهم ما في الهري الذي كان مدخرا للميرة خوفا من هجوم الإفرنج والعجز عن نقله وأمر بإحراق البلد فأضرمت النيران في بيوته وكان سورها عظيما ولم يزل الخراب يعمل في البلد إلى نهاية شعبان من السنة وأصبح يوم الإثنين مستهل شهر رمضان أمر ولده الملك الأفضل أن يباشر ذلك بنفسه وخواصه ولقد رأيته يحمل الخشب بنفسه لأجل الإحراق، وفي يوم الأربعاء ثالث شهر رمضان أتى الرملة ثم خرج إلى "اللد" وأشرف عليها وأمر بخرابها وخراب قلعة الرملة ففعل ذلك وفي يوم السبت ثالث عشر شهر رمضان تأخر السلطان بالعسكر إلى جهة الجبل ليتمكن الناس من تسيير دوابهم لإحضار ما يحتاجون إليه ودار السلطان حول قلعة النطرون فأمر بتخريبها لئلا يسيطر عليها العدو.

اتفاق صلح الرملة

لم يكد يمضي الوقت بالحلف الأوربي وهو يواجه المسلمين حتى دبت الخلافات بين قادته مما جعل جعل الملوك قادة الحلف ان يقفلون عائدين بالتتالي الى بلدانهم ولم يبق في الميدان الا ملك إنكلترا ريتشارد الذي بات يتحمل وحده عبء مواجهة المسلمين وقائدهم صلاح الدين، ولقد دارت بينه وبين صلاح الدين عدة معارك خلال عامي ١١٩١م و١١٩٢م، وكان أهمها معركة أرسوف التي أوشك فيها القائد صلاح الدين أن يقضى على الصليبيين لولا قيام ريتشارد بتنظيم صفوفه وتثبيت كفة الصليبيين نوعا ما. واما عن الجانب الاسلامي فأن موقف القائد صلاح الدين قد ازداد قوة وصلابة في الدفاع عن بيت المقدس، وعن المكتسبات التي كانت بيده وفى المقابل بدأت تظهر داخل الجيش الصليبي خلافات كبيرة، إضافة إلى قلق القائد الصليبي ريتشارد من الأنباء التي كانت تصله تباعاً عن عودة خصمه اللدود فيليب أغسطس إلى الاعتداء على أملاكه في الغرب، فبدت المفاوضات مطلبا ملحا للطرفين، فبدأت سلسلة مفاوضات عسيرة وانتهت إلى توقيع اتفاق عرف باسم صلح الرملة(11) في يوم الاربعاء 2 سبتمبر سنة ١١٩٢م، الثاني والعشرين من شعبان سنة 588هـ. ولقد كان يوما مشهودا نال الطائفتين فيه من المسرة الكثير وقد علم الله تعالى أن الصلح لم يكن عن مرضاة صلاح الدين وإيثاره ولكنه رأى المصلحة في الصلح لسآمة العسكر وكان مصلحة في علم الله تعالى فإنه اتفقت وفاته بعد

الصلح فلو اتفق ذلك في أثناء وقعاته كان الإسلام على خطر. ثم أعطى للعساكر الواردة عليه من البلاد البعيدة برسم النجدة دستورا فساروا عنه وعزم على الحج لما فرغ باله من هذه الجهة وتردد المسلمون إلى بلادهم وجاءوا هم إلى بلاد المسلمين وحملت البضائع والمتاجر إلى البلاد وحضر منهم خلق كثير لزيارة القدس . وان مما تضمنته بنود اتفاقية الصلح هذه هو أن تتوقف الحرب بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات وثلاثة أشهر على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من يافا وقيسارية وحيفا وأرسوف وما عدا ذلك يبقى بأيدي المسلمين بما فيها بيت المقدس، وعلى أثر هذا الصلح غادر ريتشارد عن طريق البحر عائداً إلى بلاده، أما صلاح الدين فقد توفى في دمشق.

هيئة القيادة لجيش صلاح الدين

كانت القوات التي حشدها السلطان صلاح الدين لتحقيق مهام التحرير والفتح تخضع لهيئة قيادية محنكة في القيادة والإدارة ومتمرسة في فن الحرب وإدارة السوق الحربي العلام والمكنة من التعبية الميدانية وتتمثل بنخبة من الامراء منهم من هو من الاسرة الايوبية التكريتية ومنهم من هو من الاسر النبيلة من التي لها صلاة قرابة او تآلف او تحالف معها وان من بين الشخصيات التي شكلت هيئة القيادة للجيش والتي صارت تحت امرة السلطان القائد نذكر: الملك العادل بن نجم الدين ايوب، الملك الأفضل بن صلاح الدين، الأمير تقي الدين عمر ، الأمير مظفر الدين كوكبوري. الأمير الحاجب حسام الدين لؤلؤ الأمير بهاء الدين قراقوش.

تعبية جيش صلاح الدين

فن الحرب: وهو طريقة استخدام القتال لتحقيق الغاية من الاشتباك ، وقد تجلى هذا الفن في كل العمليات العسكرية التعرضية التي قام بها القائد صلاح الدين ومن خلال استقرائنا لوقائع معاركه ضد الصليبيين نلاحظ أن فن الحرب لديه تضمن النشاطات التالية التي هي نشاطات فن الحرب.

التصميم : وهو تصوره الكامل للعملية من خلال تحديد الغاية وأسلوب العملية ومعرفة الهدف أو التفاصيل الملحقة المهمة.

الإعداد : وهو الاستعداد القتالي لكافة التدابير المطلوبة مثل الحشد والتسليح والتدريب وتهيئة التحصينات والدفاعات وكان يقوم بها أمراء الأجناد والقادة .

إدارة التنفيذ : وهي الإدارة التفصيلية للمهمة القتالية مما تتضمن من التنسيق العملياتي والتنظيم الميداني والإدارة المباشرة وهو يعتمد على النظرية الحربية التي كانت سائدة في ذلك العهد ومن خلال تحليل العمليات يتضح لنا أن النشاطات الحربية تنقسم في كل عملية إلى نشاطات متعلقة بالتحضيرات وأخرى متعلقة بحالة الاشتباك والتي هي أولاً نظام التقدم حيث يتحدد فيه أسلوب المسير وتنظيماته الذي يتوخى منه السرعة والحركة العالية والأمن وقوة المناورة ، وثانياً نظام المعسكرات حيث من الضروري

تهيئة معسكرات مؤقتة لتكن قاعدة انطلاق وتموين كما وتكون فيها عملية إعادة التنظيم خاصة ، وأن المسافة بين الهدف وقاعدة الانطلاق ويلة والمثال عليها هو المعسكرات التي أقيمت للراحة في تل عشترة وفي قصر السلام وفي صفورية وطبرية.

السوق : وهو فن استخدام القوة الحربية لتحقيق الأهداف المصيرية للدولة كما أنه فن إدارة الأعمال الحربية السوقية الكبيرة ، ولقد ظهر السوق في عمل صلاح الدين نتيجة للتطلعات الوحدوية والآمال التحررية للقائد صلاح الدين والتي تحولت إلى إرادة واقعة بواسطة العمليات الحربية الفذة وأبرزها معركة حطين وتحرير بيت المقدس ، أما عن كيفية ممارسة السوق فأنه لجمع القائد صلاح الدين القيادتين المدنية والعسكرية للدولة دور في تمكنه من التخطيط السابق وبذلك يكون قد تم ممارسة السوق دون أن يعرف بذات الاسم ، وقد تمت أيضاً دراسة متطلباته دون معرفتها برموزها العصرية ومتطلباته كما نعرف هي دراسة صيغة العمل الحربي ووجهته وبحث الأهداف الحاسمة والوسائل الكفيلة لتحقيق النصر.وللسوق عناصره التي تبرز فعله وهي :

العناصر المعنوية لجيش صلاح الدين

وتتمثل بمنظومة الصفات الشخصية للسلطان القائد صلاح الدين الايوبي والآثار المعنوية المترتبة في المواقف ومدى استثمارها لتحقيق الظفر والاهتمام بدور فكره الثاقب في إدارة العمليات وقيادة السوق العام.

العناصر المادية : وتتمثل في حجم قوة الجيش العربي وامكاناتها العظيمة في تسليحها الكامل وطبيعة تشكيلاتها العامة وتأثيرها الإيجابي على رجحان كفة الحرب لصالح العرب.

العناصر التنظيمية : وتتمثل في نوع نظام المعركة المنتخب وفي صفحات الحرب ومرتكزاتها العامة التي طبقها الجيش العربي بصورة دقيقة.

العناصر الطبوغرافية : وتتمثل في بحث طبيعة الأرض والعوارض وتأثيرها وكيفية استثمارها ودراسة طرق معالجتها كما ودراسة طرق المواصلات الفلسطينية وبيان أهميتها.

العناصر الإدارية : وتتمثل في بحث الشؤون الإدارية للجيش العربي وبحث وسائل التموين ومعضلات النقلية لتجهيز الجند خلال التقدم والإقامة.

أما عن أنواع السوق المستخدمة في معارك صلاح الدين فمن الظاهر أنه كان يفضل تطبيق السوق غير المباشر الذي يعتمد المناورة والصبر والمباغتة بأنواعها والمتمثل

أما بالسيطرة على مواضع تهدد مؤخرات العدو وتقطع خط رجعته كما فعل في حطين أو ترجيح العوامل النفسية على حساب العوامل المادية في جسم الصراع كما فعل في تحرير القلاع والحصون المنتشرة حول القدس أو باستخدام أعمال الحصار الطويلة الأمد كما فعل في حصار طبرية وفي حصار عقلان وفي حصار صور وعكا.

مبادئ الحرب لدى جيش صلاح الدين

توخي الهدف : في كل عملية ينبغي انتخاب الأهداف بوضوح ولقد كان المقصد النهائي لمعارك صلاح الدين ضد الصليبيين هو تحطيم إرادة العدو القتالية وجعله يرضخ للإرادة السياسية بدون شروط ، ويمكن القول أن جميع العمليات العسكرية التي قام بها صلاح الدين كانت تلتزم بهذا المبدأ.

العمل التعرضي : هو الهجوم على العدو لسحقه ولا يتم الحصول على النصر إلا بالتعرض وحده والعمل التعرضي عند القائد صلاح الدين شكل تلاحم صفحتين من صفحات الحرب وقد سبقت أحدهما الأخرى وتشمل التقدم بما تضمن من المعارك التصادفية وعبور الموانع ومنها نهر الأردن كما شمل الهجوم بما تضمن من أنواع مثل السريع عندما حرر القلاع الواقعة على محور تقدمه والمدبر مثلما كان في حطين وتحرير بيت المقدس والتسلل الليلي مثلما حدث في احتلال طبرية دون قلعتها والعمل التعرضي هو الوسيلة الناجحة للتأثير على النتائج وحسم المواقف في مثل هكذا فعل.

وبما أن الانقضاض أحد عناصر العمل التعرضي نرى صلاح الدين يختار النسر كشعار وضعه على راياته كدلالة على الانقضاض.

التعاون : أن العمليات الحربية ما هي إلا مشاريع مشتركة ، حيث أن العمليات التي تثمر عن التعاون بين الصنوف من المحال أن تخيب ، وقد

كانت حالة التعاون قائمة في جهود الجيش العربي من خلال تعاون صنف الجهد الهندسي مع القوى القتالية في تسهيل عمل آلات الحصار وإصلاح المعدات ونصب الجسور وحفر الآبار وفتح الطرق ، كذلك تعاون أصحاب المجانيق مع جماعات الصولة وقد استند التعاون على روح الجماعة والتدريب واستدعى التنسيق في الفعاليات بصورة فريدة مما حقق جهد موحد وفعال.

الشؤون الإدارية : تمثل الإدارة مطلباً أساسياً لنجاح أية عملية وغالباً ما تكون الاعتبارات الإدارية العامل الحاسم في تحقيق الغاية ، ولقد كان الجهاز الإداري للجيش الإصلاحي في المستوى لذي يقدر أن يحسم أمر التقيدات الآنية للشؤون الإدارية والدليل هو تمكنه من تحقيق الغايات القتالية بسهولة.

الأمن : يعرف الأمن بأنه توفير الحماية للقوة ومواصلاتها وأسرار مشاريعها لوقايتها من مباغتة العدو ومنعه الحصول على المعلومات وقد طبق هذا المبدأ في عمليات صلاح الدين من خلال الكتمان والاستطلاع وتخصيص الحماية الكافية للحملة العسكرية وقد كان له تأثيره على النتائج النهائية في كل حركة فأنه عندما يريد الالتحام بالخصم يوزع فرقاً من ثقل الجيش على دائرة واسعة تحيط بأرض معركته كي يشتت أمر عدوه ويفوق باله ويمنع نفاذه من أية ثغرة.

المعنويات : لقد كان الاهتمام بهذا المبدأ من قبل القائد صلاح الدين سابقاً للكثير من المفاهيم العسكرية ، حيث أن الاستعداد القتالي والايمان الروحي بالقضية يدفع الجنود إلى الاستبسال والاستماتة ، كما أن توفر حملة العوامل المادية والمعنوية تحفز الجنود على تقبل الجهاد من أجل القضية ونعني بالعوامل هي التدريب والتجهيز والضبط والكفاءة القيادية ، ونستطيع أن نلمس هذا المبدأ كل عمليات القائد صلاح الدين وبأساليب متنوعة تعتمد على الموقف المعلوماتي.

المرونة : وتعني قوة الحركة والعمل السريع ومرونة الفكر واتساعه للقائد ، كما أنها القدرة على التصرف بهدوء عند تغير الخطة أو عند تغير الموقف فتجري الحوادث للحصول على أقصى فائدة وهي تعني المرونة العقلية وسرعة اتخاذ القرار ، وقد كان القائد صلاح الدين يتصف بالمرونة ويحاول دائماً تطوير قابليات أمراء جنده القيادية.

الاقتصاد بالقوى : وهي استخدام أصغر قوة بحيث تكون كافية لإنجاز مهماتها أي قوة الغرض دون زيادة أو نقصان بقوامها ، وبذلك لا تكون هنالك بعثرة بالموارد أو صرف في الجهد ، وقد استخدمت في عمليات القائد صلاح الدين على أنها الاستخدام المتوازن للقوى والتصرف الحكيم بجميع الموارد لغرض الحصول على الحشد المؤثر في الظرف الحاسم.

سبق النظر : وهو توقع العمل المقبل وردود فعل العدو المحتملة وتحسب كل شيء من خلال دراسة كافة الاحتمالات ، وعلى ضوء ذلك يتم إعداد

الخطط وتقدير المواقف أي استشفاف المواقف بالحدس أو التروي بالفعل ، وقد كان لكل القادة الذين بأمرة القائد صلاح الدين من امراء الجيش وقادة الأصناف سبق نظر في مشاريعهم وتصوراتهم الطارئة.

حشد القوى : هو حشد أعظم قوة أدبية ومادية واستخدامها في الظرف المحدد ولقد طبقه القائد صلاح الدين في إعداد الحشد لمهمة التحرير مع انتباهه إلى مسألة التوقيت والموازنة للوصول إلى قوته التي يحقق بها المهمة بنجاح.

المباغتة : أن المباغتة مبدأ مهم وسلاح نفسي مؤثر ، إذ أنها تسبب الاضطرابات في الجانب المعادي لأنها تعتمد على إحداث موقف يكون العدو غير مستعد له وقد طبقت المباغتة في معارك صلاح الدين ولكن بأشكال مختلفة ، حيث طبقت بالأسلوب وسميت مكايدة وطبقت من خلال سبق العمل وسميت مبادأة وطبقت من خلال المكان الغير متوقع وسميت بالمخادعة كما وطبقت من خلال المناورات التراجعية وسميت التمويه من خلال عمليات خداع وإيهام العدو بالموقف وسميت تضليل.

وكذلك طبق المفاجئة من خلال سرعة تنقله بين القلاع والمواقع والحصون، فبينما هو في أقصى الشمال ما تراه إلا وهو في أقصى الجنوب حيث كانت الأرض بنظره ضيقة متقاربة على الرغم من سعتها وبعد انحاءها.

هيكل تنظيم جيش صلاح الدين

عمل القائد صلاح الدين الأيوبي خلال مرحلة الإعداد للجهاد من أجل التحرير الكامل لفلسطين إلى تكوين جيش كبير يحقق الغاية المنشودة حيث كان يتشكل من العناصر التالية :

الجيش السلطاني : وهو الجيش النظامي والذي يتولى مهام مرافقة السلطان وحمايته والقتال معه ويتألف من ثلاثة قوات هي الأسدية والنورية والصلاحية ، وعليه تقع مهام الدفاع والتعرض في حالة غياب أو بعد الجيوش الأخرى.

جيوش الأمراء : وهي قوات تمثل الإمارات التابعة لها وتتسمى باسمها حيث تتكون كل قوة من الاجناد التابعين لصقع معين ، والذين يستدعون وقت الحروب والازمات فقط وبعده يتم تسريحهم.

فرق المتطوعة : وهم المواطنون الذي تأخذهم الحمية على دينهم وامتهم فيفدون إلى السلطان للقتال تحت رايته بمحض إرادتهم.

القوات المساعدة : وهي قوات القبائل من أهل البادية التي لبت الدعوة المشاركة في الواجب المقدس مثل قوة بني منقذ والقوة الكنانية وقوات القبائل الشامية.

ولقد اتخذ الجيش الاسلامي هيكل تنظيم خاص بتلك الفترة حيث كان مقسم إلى عدة جيوش تعادل (الوية) تمثل الامارات التابعة اليها وكان كل جيش مقسم إلى كتائب (اطلاب) جمع طلب التي تمثل من 100 – 200 جندي ويحتوي على نوعين من الجند حسب المهارة هما :

1- الجند الطواشية : وهو أعلى مرتبة من الجند النظامين ويكلفون بالواجبات الحساسة.

2- الجند القراغلامية : وهم الجند النظاميون العاديون ويكلفون بواجبات مراقبة ومسك الطرق التقريبية (فرق استطلاعية).

ولقد كان للجيش نفس نظام التعبئة المتبع في عهد صدر الدولة الإسلامية (نظام الخميس) حيث تقسم القوات إلى :

المقدمة والمؤخرة والقلب والميمنة والميسرة.

أصناف جيش صلاح الدين

المشـاة : وهو الصنف الذي يضم الجنود الراجلة الذين يقاتلون بواسطة القوس والسيف والرمح ويكلفون بواجبات لا يستطيع انجازها الفرسان مثل تسلق الأسوار بالسلالم ومسك الأراضي الوعرة واحتلال المضايق وعبور الموانع والمسالك الضيقة.

الخيالة : وهو الصنف الذي يشكل مقدمة الجيش ويستخدم لإنجاز عمليات الالتفاف والمطاردة والمناورة والمهمات التي تتطلب قطع المسافات الطويلة التي يصعب على المشاة انجازها والتي تتطلب سرعة وخفة الحركة وقوة الصدمة.

الدرع : يتكون هذا الصنف من الدبابات التي تنتظم على شكل مجاميع (رعائل) والضبور وآلات الحصار والكباش وهو يستخدم لاقتحام الحصون والقلاع من خلال التقرب المباشر إليها وإعطاء الجندي الحماية الكافية لتسهيل مهمة ثقب جدرانها أو نصب السلالم عليها أو حرق أسسها ليسهل هدمها.

المدفعيـة : وهو الصنف الذي يستخدم المجانيق وباعتبارها مدافع لرمي الأحجار الكبيرة أو القدور المحتوية على المواد الحارقة أو ألسنة اللهب

ويكون دوره في الإسناد والتغطية للعمليات التعرضية لجماعة الصنوف المقاتلة.

القوات الخاصة : كانت هناك قوتين خاصتين أولهما تسمى الأسدية وقوامها 500 جندي كان قد أسسها أسد الدين عم صلاح الدين والثانية تسمى الصلاحية وأسسها القائد صلاح الدين على غرار القوة الأولى وكانت تناط بها المهمات الصعبة والحساسة.

كما وكانت في الجيش قوة واجبها يماثل واجب صنف الضفادع البشرية حالياً ، وهي تكلف بالمهمات التي تتطلب عبور الأنهر والممرات المائية وهي بأمرة عيسى العوام.

الجهد الهندسي : وهو صنف الفعلة أي الجند الذين يقومون بفتح الطرق وثقب الأسوار ونصب الجسور على الترع والجداول والمنصات والمضائق وإعداد السلالم لاجتياز الأسوار ، كما يقوم بمهمة حفر الآبار وتخريب تحصينات الأعداد ، وكانوا يسمون في عهد صلاح الدين بالجاندرية والنقابين والخراسانية والحجارين.

البريد : وهو الإدارة التي تتولى مهام (المخابرة) كالبريد وتعبير الرسائل وإيصال الأوامر والتبليغات بين أركان القوات وبين المقر ، ويعتمد على

السعاة من جماعة الجند القراغلامية أو على جماعة الفرسان للسرعة أو يستخدم الحمام الزاجل في المهام المستعجلة.

العيــون :(الاستخبارات) وهو الجهاز الذي يختص بجمع الأخبار والمعلومات بدقائقها عن العدو ويرفعها إلى القيادات التي تتولى دراستها لتستفيد منها في إعداد الخطط وإدارة العمليات ، وقد كان يعتمد على نوعين من العناصر أولهما العملاء من الطرف المعادي وثانيهما العناصر التي تتبع للجيش والتي تقوم بالتسلل إلى العمق المعادي وتقوم بالتقاط الأخبار وجمع المعلومات على أنها تجيد لغة الأعداء ولها معرفة بطبائعهم وعاداتهم وأساليبهم في التصرف وفي الحياة.

الشؤون الإدارية : وهو الجهاز الذي يتولى مهام التموين ويتكفل بتزويد الجيش بكافة الاحتياطات من الأرزاق والتجهيزات والمواد الحربية ، كما ويقوم بإدارة الشؤون المعيشية للجند في راحتهم ورواحهم كما كان يضم المناصب التي يتطلبها انجاز الواجب كالفقهاء والقراء ومفتشي الخيل والكتاب والمترجمين والجهاز الإعلامي المكون من الدعاة والقصاصين والشعراء والخطباء ثم الجهاز القضائي الذي يفصل في المعضلات والجهاز المحتوي على الأطباء والممرضين والصيادلة وصاحب الأقباض والمسؤول عن قسمة الغنائم والرائد الذي يعني المواضع الملائمة لعسكرة الأرتال في التقدم.

البحرية : وهو الجهاز الذي يتولى مهام الدفاع البحري والمناورة السوقية في العمليات التعرضية ، حيث يتم تقسيم العمل في الأسطول(12) العربي إلى قسمين قسم يأخذ على عاتقه مهمة للدفاع عن السواحل للدول الأيوبية ويتألف من خمسين سفينة والقسم الثاني يتولى أمر العمليات التعرضية من خلال الهجوم البحري أو الاسناد للقطعات البحرية من جهة البحر ويتألف من ثلاثين سفينة كما وكانت هنالك مهمات إضافية للأسطول منها حمل الأزواد لمدن الساحل إذا نفذت منها أو لادخارها كاحتياطي ، ولأهمية القوة البحرية أسس القائد صلاح الدين ديواناً خاصاً بها ويتكفل مهام الإنفاق على نواحي إعداد الأسطول البحري وعلى دور صناعة السفن والمدارس البحرية التي تعد رجال البحر ، وهو ديوان الاسطول ولكي يشجع الرجال على الانخراط في صفوف البحرية قام صلاح الدين بزيادة رواتب الصنف البحري بنسبة 20% عما سواهم من الصنوف ، كما أمر بتقوية دفاعات المدن الساحلية من خلال تشييد الرباطات والمحارس والمناور والمناظر على امتداد سواحل الدولة وتقوية الثغور الساحلية وحشد فيها المقاتلين لحراستها والدفاع عنها ونصب المنصات والمواضع على طول الشواطئ لإعاقة تغلغل المتسللين.

وكان على الأسطول المصري الأمير حسام الدين لؤلؤ يعاونه عبد السلام المغربي وعلى أسطول بيروت يعقوب الحلبي.

أسلحة جيش صلاح الدين

لقد نشأت صناعة بعض الأسلحة الخفيفة في دولة صلاح الدين ، فقد كانت الأتراس والرماح تصنع في الموصل وكانت السيوف تصنع في دمشق والقاهرة والموصل التي أنشأت فيها مصانع لهذه الأسلحة ، ولقد كان اعتمادهم بعض الأحيان على الحديد الخام المستخرج من جبال لبنان وأغلب الأحيان على الحديد المجلوب بواسطة السفن من بيزنطة.

ولقد استخدم القائد صلاح الدين في حربه العادلة ضد الأعداء الأسلحة الخفيفة المحلية كما واستخدم أسلحة سوقية ثقيلة كان لها دورها في تقرير الظفر ومنها

المنجنيق : عبارة عن قاعدة من كتلة خشبية ثقيلة تحمل عارضة خشبية تدور حول محور ثابت على حاملين وينتهي الذراع الأطول بما يشبه المغرفة فيها توضع القذيفة ويثبت عند نهاية الذراع القصير ثقل قوي للموازنة بحيث يظل الذراع الأطول مرفوعاً حين لا يستخدم وعند استخدام المنجنيق يحرك الذراع الأول للأسفل باستخدام حبل طويل وتوضع القذيفة في المغرفة بعدها يرتفع الثقل للأعلى وتدور الذراع حولها بسرعة ويتكفل قضيب قوي بإبطال الدوران بحركة فجائية فلا تلبث أن تندفع القذيفة للأمام بعنف وهنالك أنواع من المجانيق حسب الغرض من القصف ومنها :

1- لرمي قنابل المنثار المتمثلة بالسهام والنبل وهي ضد الجنود المشاة.

2- لرمي قنابل المهداد والمتمثلة بالحجارة وهي لتخريب الحصون.

3- لرمي قنابل الحريق المتمثلة بقذف الرماد أو مركبات معمولة من تدخين الكبريت.

4- لرمي قنابل الحريق المتمثلة بقدور النفط وهي ضد المخيمات والتجهيزات.

5- لرمي القنابل ذات التأثير السمي وهي التي تتكون من علب محتوية على الحياة والعقارب.

6- لرمي القنابل الخانقة المتمثلة بالقنابل المركبة من أفيون وزرنيخ وبنج أزرق أو أنها مركبة من النورة المدقوقة غير المطفأة أو مركبة من الكلس المطفي.

7- لرمي قنابل التنوير : المتمثلة من بندق يركب من كبريت رومي أسود وصمغ ودهان بلسان ونورة ثم تمسح بالنفط الأبيض وتذر عليها مسحوق الكبريت وتقذف وعند احتكاكها بالهواء تشتعل مضيئة المكان.

برج الحصار : برج شاهق من الخشب ارتفاعه بين 15 – 20م يقوم على عجلات خشبية وقرب قمته قنطرة متحركة يندفع أعلاها الجنود إلى الأسوار وعند قاعدة البرج مدكات مهداد.

الدبابة : سلاح مدرع عرفه العرب منذ عصر ما قبل الإسلام واستخدم القائد صلاح الدين في معركته ضد الصليبيين وهي هيكل خشبي مغطى بالجلود مدولب ويدخل الجنود فيها وتستخدم لهدم الحصون الأكثر تماسكاً ، وفي أكثر الأحيان تقذف الحجارة الضخمة والكرات المشتعلة أو السهام المشتعلة.

العجلة المدرعة – الضبر : وهي هيكل خشبي مغلف بالجلد المشبع بالخل يتدرع بها المشاة للوصول نحو هدفهم وهي تشبه في الغرض العجلة المدرعة.

الزيارات : وهي أقواس ترمي أشد السهام رمياً وأعظمها جرماً وكانت تنصب على الأبراج وتحتاج في قذفها إلى عدد من الرجال ولا يكاد يثبت أحد أمامها ويستخدم على البر.

الزمبوركات : وهي سهام تختص بالبحر لأنها طويلة ثقيلة لتكون أكثر ثباتاً عند انطلاقها ولها آلة قذف ضخمة ودقيقة.

قاذف السهام : عبارة عن محور حركة مركزية شق على امتداده مجرى أعلاه تتحرك زلاقة خشبية ملساء اتصلت مع ساق خشبية ترتبط بأوتار الزلاقة المثبت في طرفيها السفلي مخلب ومقداح لشد أوتار القوس وفي مقدمة المخلب وعلى قمة الزلاقة وضع خزان السهام ومنه تنطلق صوب أهدافها وعندما يشرع الجنود في استخدامه عليهم جذب الزلاقة بشدة للخلف ويتوتر القوس ويكتسب طاقة ارتداد هائلة بعدها يحررون المخلب والمقداح وترتد الزلاقة للأمام دافعة السهام.

تجهيز وتسليح جيش صلاح الدين

لقد عنى القائد صلاح الدين في استعداده القتالي، على المستوى التكتيكي، ببناء جيشه، وبتحضير القوات المختلفة تنظيمياً، بما يتلاءم مع توجهه الاستراتيجي العام، وقد اهتم بتحويل معظم قواته إلى وحدات خيالة، لما تفرضه طبيعة المعارك، على مسارح عمليات واسعة، من ضرورة لخوض معركة الحركة والمناورة على خطوط مواصلات خارجية غالباً، ومعرضة للمخاطر. كما اهتم بالنبالة وكانت تسمى أيضاً (الجالشيّة)، فأكثر من تدريبها، وزاد من إمدادها بالنبال، مما كان يعطي القوات العربية غزارة رمي مشهوداً لها.

ومن ناحية أخرى اشتهر السيف الدمشقي، أو السيف الأحدب، الذي يطلق عليه الغربيون اسم (Scimitar)، وكان هذا السيف يمتاز، إلى جانب سيف طليطلة، بالشفرة المعدنية الحادة المصقولة مرة واحدة. وقد أورد (مرضي الطرسوسي) في مخطوطه المسمى ((تبصرة الألباب في كيفية النجاة في الحروب ومن الأسواء)) معلومات مفصلة عن كيفية صناعة السيوف الحادة، والمعادن المستعملة، ونسب مزجها الخ... بالإضافة إلى معلومات مفصلة أخرى عن كيفية صنع عدد آخر من الأسلحة كالدروع والرماح والأقواس والمجانيق وغيرها، مما يدل على ازدهار الصناعة الحربية في زمن صلاح الدين الذي عاصره الطرسوسي. ومن ناحية أخرى، كان الفارس العربي يمتاز بخفة الحركة، وفعالية سلاحه، سيفاً أم قوساً، أو رمحاً، بينما كان الفرسان الصليبيون يثقلون كواهلهم بالدروع التي تغطي أجسادهم ومتون خيلهم، مما يزيد في وزنهم ويقلل من حرية الحركة لديهم.

وقد اشتهرت المجانيق العربية التي كانت ترمي الحصون، وبغزارة عالية، بالحجارة أو الحديد أو النفط المشتعل، ويروي (ابن الأثير) كيف صنع الصليبيون ثلاثة أبراج خشبية عالية جداً، وغطوها بالجلود والخل والطين والمواد التي تمنع النار من إحراقها، وأصلحوا الطرق لها، ودفعوها إلى عكا لحصارها في العام 1190م، مما اضطر أهالي عكا إلى الاستنجاد بأحد العلماء الدمشقيين الذي كان يسكن وقتها فيها، وكان قد اخترع مادة حارقة لا تنطفئ، وقد تم بفضل التطوير العلمي، الذي قدمه هذا العالم، التخلص من ازعاج الأبراج الثلاثة وإحراقها بعدما كانت قد بدأت بتهديد عكا بالسقوط. وعلى صعيد آخر، فلقد كان الترتيب القتالي الذي استعمله صلاح الدين الأيوبي، ومعاصروه من القادة المسلمين، يعتمد على التنظيم الكلاسيكي العربي القديم، بشكل أساسي، أي قلب وجناحين، وميمنة وميسرة، وجالشية (نبالة) وساقة. ولكن الفارق الجديد كان في قيام مجموعة القلب بمناورة تقدّم ثم تقهقر، لاستدراج العدو إلى الطوق الذي سرعان ما يتشكل ويتم الإطباق. هذا بالإضافة إلى تشكيلات وترتيبات قتالية أخرى عرفها العرب في زمن صلاح الدين، وكانت تشبه الأشكال الهندسية المختلفة، كالمستطيل، والزاوية الحادة والمعيّن والدائرة. أما سرعة الاتصالات لنقل الأخبار والتعليمات القيادية والمعلومات الاستطلاعية، فكان يؤمنها الحمام الزاجل الذي اهتم صلاح الدين، ومن قبله نور الدين، باستخدامه.

روح المجاهدة لدى صلاح الدين

إن الجهاد في الإسلام هو القتال في سبيل الله الذي يعني القتال من أجل إعلاء كلمة الحق والدين لدفع الظلم ولحماية حرية نشر الخير والسلام الذي نادى به الإسلام. ولقد أمن القائد صلاح الدين بفريضة الجهاد منذ أن وعى القتال حيث أنه شب وتربى في كن عائلة قضت حياتها تدافع عن الإسلام وكياه وقد أبعده حبه للجهاد عن الاهتمام بأي أمر آخر ، حتى شؤونه الخاصة فطلق ترفها ومباهجها واقتنع بالعيش على نواصي الخيل ومن أقواله في الجهاد قوله وهو يخاطب أحد قادة الفرنجة عند اللاذقية ((قد أمرنا الله بالجهاد لأعداء الدين وافترضه علينا فنحن قائمون في طاعته بأداء ما افترض علينا منه وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد ولو اجتمع علينا أهل الأرض لتوكلنا عليه تعالى)) كما كان دائم القول : ((أنني أعتقد أني في أعظم العبادات ولا أزل كذلك حتى يعطي الله النصر لمن يشاء)).

وعليه فعندما أراد القائد صلاح الدين استرجاع الأراضي المحتلة من تسلط الغزاة أعلن حالة الجهاد وقد ترتب عليه تحقيق الظفر وتطهير المقدسات مستنداً إلى الدوافع الداعية لهذا الجهاد وقد ترتب عليه تحقيق الظفر وتطهير المقدسات مستنداً إلى الدوافع الداعية لهذا الجهاد وهي دوافع دينية لما يمثله الجهاد من واجب وفرض على المسلمين يتوجب عليهم أداءه ،

حيث يقول القرآن الكريم ((وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً)) ويقول الحديث الشريف ((ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)). إضافة إلى دوافع قومية ومصيرية فالشعور بالقومية وبالمصير المشترك العربي يجعله يتطوع في سبيل القضية المشتركة للعرب لأنها صفته النهائية وخاصة إذا كانت القومية تعني الوجود الكلي النامي للأمة العربية في جميع مكوناتها ومقوماتها ، وإذا عرفنا أن مكوناتها هي الدم والدين واللغة والتاريخ المشترك والآمال المشتركة ومقوماتها هي جميع المزايا والخصائص الموجودة في الشخصية.

ولقد كانت عملية الجهاد بعدة أشكال يحق الجمع بينها وتعتمد على قدرة وإمكانية الأفراد وهي كالآتي :

الجهاد بالمال : وهو تقديم التبرعات وإمداد القوات بالوسائل المادية والأدوات التي تحتاجها في القتال كالأسلحة والتجهيزات والركائب والأرزاق والميرة.

الجهاد بالنفس : وهو أقصى غاية الجود ويتم في التطوع للقتال من خلال الانتظام في الجيوش لتأدية الواجب المشرف في المهمات القتالية المختلفة.

الهوامش والتعليقات

(1). **المسجد الأقصى** اسم كان يطلق قديما على الحرم القدسي الشريف كله وما فيه من منشآت أهمها قبة الصخرة المشرفة التي بناها عبد الملك بن مروان سنة 72هـ/691 وتعد من أعظم الآثار الاسلامية. وينسب معظم المؤرخين المسلمين بناء المسجد الأقصى إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. ومن هؤلاء البشاري المقدسي وشهاب الدين أحمد بن محمد المقدسي ومجير الدين الحنبلي والسيوطي. ويقولون انه بناء سنة 72هـ/691م. وينسبه بعض المؤرخين، ومنهم ابن البطريق وابن الأثير وابن الطقطقي، إلى الوليد بن عبد الملك (حكم من 86-96هـ/705-714م). وتؤكد هذا الرأي مجموعات من أوراق البردي تضم مراسلات بين قوة بن شريك عامل مصر الأموي (90-96هـ/709-714م) وأحد حكام الصعيد وتتضمن ذكر نفقات العمال الذين كانوا يتولون بناء مسجد القدس. وتدل هذه الأوراق بصورة قاطعة على أن العمل في بناء المسجد كان جاريا حوالي سنة 90هـ/709م. ويعني هذا أن يأتي المسجد هو الوليد بن عبد الملك، أو أنه هو الذي أتم بناءه.

ويختلف بناء المسجد الحالي عن بناء الأمويين اختلافا كبيرا. فقد بني المسجد بعد ذلك ورمم عدة مرات: ففي أواخر الحكم الأموي (730هـ/747م) حدث زلزال سقط بسببه شرقي المسجد وغربيه. وقد جرت

اعادة بناء المسجد زمن الخليفة العباسي المنصور سنة 741هـ/758-759م. وفي سنة 758هـ/774م وقع البناء الذي أقامه المنصور بسبب زلزال آخر فأمر الخليفة المهدي بإعادة بنائه. وبني المسجد هذه المرة بعناية كبيرة وأنفقت عليه أموال طائلة. وكان يتكون من رواق أوسط كبير يقوم على أعمدة رخام وتكتنفه من كل جانب سبعة أروقة موازية له وأقل منه ارتفاعا. وفي سنة 425هـ/1033م خرب المسجد الأقصى خرابا كبيرا بسبب زلزال آخر فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله وضيقه من الغرب والشرق بحذف أربعة أروقة من كل جانب. والأبواب السبعة التي في شمال المسجد اليوم هي من صنع الظاهر. كما أن جزءا كبيرا من بناء الأقصى الحالي- قبل التعميرات التي جرت في هذا القرن – يرجع إلى الظاهر. وعندما احتل الصليبيون القدس غيروا معالم المسجد فاتخذوا جانبا منه كنيسة وجانبا آخر مسكنا لفرسان الاسبتارية (11) وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناء جعلوه مستودعا لذخائرهم.

ولما حرر صلاح الدين الأيوبي القدس أمر بإصلاح المسجد الأقصى واعادة البناء إلى ما كان عليه قبل الاحتلال الصليبي. وجدد صلاح الدين محراب المسجد وغشاه بالفسيفساء وأتى بالمنبر الرائع الذي أمر نور الدين محمود بن زنكي بصنعه للمسجد الأقصى من حلب ووضعه في المسجد.

(2). **التكريتي هو** لقب وهو نسبة الى تكريت وتكريت هذه انما هي من المدن القلاعية المهمة والعتيقة في التراث القومي وفي وجدان الامة الجمعي. والبيت الايوبي انما هو من البيوتات الحاكمة الجليلة والنبيلة والاصيلة. و لا غرو ان هنالك ثمة متلازمات ومشتركات تاريخية واجتماعية ما بين تكريت وما بين البيت الايوبي وعلى ذلك ومنه، فعندما يذكر مصطلح الايوبي او الايوبيين يطل على الذاكرة الاسم تكريت بشكل عفوي وعندما يراد استعراض او استذكار الرموز العظماء من الذين انجبتهم تكريت فان اول ما يقفز من اللسان أسماء لأبناء من البيت الايوبي وفي مقدمتهم اسم السلطان الفاتح صلاح الدين وفضلا على ذلك فان مطالعة المضان التاريخية التي ترجمت لشخصيات بني أيوب او اشارت اليهم ستظهر لنا كيف ان اسم تكريت كثر ما يأتي بصيغة لقب مضاف اليه او بهيئة صفة دالة على أسماء العديد من الشخصيات الفذة للبيت الايوبي، فعلى سبيل المثل في كتاب سير اعلام النبلاء يأتي اسم ملك مصر السلطان العادل بصيغة: (محمد بن أيوب بن شادي أبو بكر الدويني التكريتي البعلبكي)، أيضا يأتي اسم صاحب حماة الأمير محمد بصيغة (محمد بن عمر بن شهنشاه بن أيوب التكريتي) مثلما يأتي اسم الملك الأوحد بصيغة: (أيوب بن محمد بن أيوب بن شاذي التكريتي) وكذا جرا ، الحال يتكرر في مصنفات اخر، ولنأخذ مثلا عليها كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة اذ اننا سنجد فيه اللقب الايوبي يلحق به لقب التكريتي

بشكل متلازم مثلما هو الامر في ترجمة الملك العادل اذ انه يجيء ذكر اسمه في الكتاب كالاتي (هو السلطان العادل سيف الدين أبو بكر محمد ابن الأمير ابي الشكر نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان الدويني التكريتي ثم الدمشقي). ولعل هذه المتلازمة او المتلاحمة انما تفسرها او تفك طلاسمها بضعة مبررات اولاها: لكون ان الجد الأول لهذه الاسرة الشيخ (شادي) قد تولى امر قلعتها العتيقة وعاش في كنفها معقلا وموطنا ثم لما مات آل ان يدفن في داخل جبانتها. وثانيها: لكون ان سمي هذا البيت وعنوانه الأمير (أيوب) انما قد تولى حكمها بعد وفاة ابيه المنوه عنه ووطنها وعاش فيها قدرا من السنين في المدة (513- 532هـ). وثالثها لكون ان اشهر ابناءها شرفا عسكريا وذكرا تاريخيا انما كانوا قد ولدوا فيها واقصد بهم ؛ السلطان الفاتح صلاح الدين يوسف المعلمة ولادته في سنة 532هـ وقبله شقيقاه الاسن منه ، شاه نشاه وتوران شاه اللذان حتمية وجود ابيهما فيها كحاكم منذ سنة513هـ وحتى سنة 532هـ وكونهما الاكبر عمرا من شقيقهم صلاح الدين المعلم الولادة فيها لهي من المؤكدات والمبرهنات على ولادتهما فيها. وهكذا سوف تكون خلاصة القول هو : إن لقب التكريتي الذي صار يلحق بأسماء الأيوبيين من قبل المؤرخين والاخباريين واهل التراجم انما يأتي لكون أن هذه الاسرة الحاكمة تنتسب مدنيا واجتماعيا لتكريت، فصلاح الدين وأخويه الأكبر منه شاهنشاه وتوران شاه قد كانت ولادتهم في تكريت كما وان أبوهم وهو أيوب أصل اللقب الأيوبي كان قد

وطنها وحكم قلعتها يعضده في حكمها أخوه الأمير شيركوه الذي هو أيضا كان من سكنتها فضلا على أن جد الأيوبيين الأول واسمه شادي والد أيوب وشيركوه كذلك كان قد وطن تكريت بعد استقدامه إليها من دوين عام 513هـ لحكم قلعتها ثم انه لما توفي دفن فيها. فحق على النسبة ان تسكن في ماهيتهما معبرة عن المتلازمة بينهما

(3) **قلعة تكريت** : في البدئ نقول انه يكاد ان يكون اسم تكريت واسم صلاح الدين مقترنين ففي اغلب الاحايين عندما يرد اسم تكريت يأتي في ذاكرتنا اسم صلاح الدين الايوبي وعندما نقوم بذكر القائد صلاح الدين تتبادر الى اذهاننا تكريت المدينة علما ان كلا منهما له هوية قائمة بذاتها.

وعودة على فحوى موضوعنا بالقول انه قد كانت تكريت المدينة العراقية العتيقة التي ولد فيها صلاح الدين تحتضن قلعة بنيت في عهد أقدم من بناءها كمدينة ذلك أنها نواة مدينة تكريت وهي تعد إحدى اكبر وامتن ثلاث قلاع قامت في المنطقة إذ ان شبيهاتها هي قلعتا اربيل وكركوك. وبسبب متانة قلعة تكريت هذه فقد عرفت المدينة واشتهرت باسم قلعتها التي جاءت تسمى بيرتو أي القلعة إضافة الى لاسم تكريتا الذي هو اسمها المدني وظل نعت بيرتو يطلق عليها مدة طويلة جدا حيث بقي صدا السم القلاعي لها يتردد عند الكتاب اليونان ثم الرومان كبديل للاسم المدني لها حتى القرن الثالث الميلادي على الأقل. ولقد جاء بناؤها على تل صخري أو كما

يصف المؤرخون على سن أو كتف صخري يشرف على دجلة ارتفاعه الذي يبلغ زهاء (40مترا) قد تكون بفعل تراكم الأدوار البنائية فيه ونتيجة السكنى المستمرة عليه بتعاقب الأدوار الحضارية المارة بها القلعة. أما تصميمها فيجيء بفن معماري حربي خاص أتاح للمتحصنين النيل من مهاجميهم وايقاع خسائر كبيرة فيهم ومن ثم الإحباط من عزيمتهم يأخذ الشكل البيضوي ليأتي متوافقا وشكل التل المذكور الذي يحيط فيه الماء من جميع جهاته . ولقد أفادها هذا الشكل كثيرا لأنه ساعدها على الدفاع الذاتي إذ أمكن حمايتها بواسطته من كل الجهات كما وقلل من المسافة بين أجزائها العمرانية مما اضعف من قدرة المهاجم عليها من أية جهة كانت كما وانها ظلت بسببه من المدن الهامة لآجال طويلة. أما موقع هذه القلعة بالنسبة لمشتملات المدينة التي احتوتها والتي تحدثنا عنها آنفا فأن معاينة الآثار الباقية لها وتفحص المذكور تاريخيا عنها تظهران القلعة بمثابة التثليث للسور حيث تقع في الركن الشرقي لمساحة المدينة برمتها وبذلك تمثل احد أجزاء السور الخارجي للمدينة وهذه الطريقة في التصميم كانت معروفة وسائدة في العهود الآشورية وهي تختلف كثيرا عن الاسلوب الروماني الذي جاء في ما بعد والذي بات يجعل القلعة في مركز مساحة المدينة وليس في احد أطرافها كما كان يعمله الآشوريون وكما بنيت به قلعة تكريت. وهكذا نجد ان طريقة تصميم تكريت مستوحاة من تصميم المعسكرات والمدن الآشورية وهو ما يسمى بتصميم (المدينة القلعة) حيث

تظهر تصاوير المعسكرات الحربية الآشورية الخيمة الملكية في مكان يبتعد عن مركز المخيم وتحديدا يحاذي السور الخارجي لهذا المعسكر لذلك كان وضع القلاع التي تمثل مقر الملك أو السلطة في احد أطراف المدينة وليس مركزها هو انعكاس لتخطيط المعسكرات السالفة الذكر والتي أظهرت صورها العديد من الألواح الطينية القديمة التي وثقت أمرها كما وثقت أشكال المدن الآشورية التي جاءت على وفق تلك الصيغة أيضا أمثال كالح ونينوى وخرطوش وكركميش. ولو القينا نظرة على أطلال قلعة تكريت لوجدنا ان جدرانها الخارجية كانت مبنية بمداميك من الحجارة الكلسية (المهندمة) التي تظهر للناظر إلى القلعة من جهة الجسر الكونكريتي على شكل مكعبات مصفوفة بانتظام وهي مشابهة للأحجار المستخدمة في بناء مدينة نينوى القديمة ونمرود وقوينجق واربيل الشيء الذي يعزز آشورية هذه القلعة. أما جدرانها الداخليةا فقد بنيت بالحصى الكبيرة(الجلمود) وبالطوب (الآجر) بالإضافة إلى الحجارة المهندمة التي شاهد شخوصها السير واليس بدج ضمن جدران حصن القلعة وأيضا شاهد الناس وهم ينقلون منها لمقاصد البناء. وان شكلها يعكس أنها تشرف على المدينة وتؤمن رصد جيد لمسافة قد تصل إلى (20-25كيلومتر) وهي ذات قطوع حادة يصعب تسلقها. وتشكل مانعا كبيرا ضد المشاة والخيالة كما وإنها تحتوي على مسالح وربايا وعيون لسيطرة الحراس والخفراء والراصدين على مقترباتها كما تحتوي على بوابة رئيسة تتوسط الركن الغربي توحي القرائن التاريخية حولها

أنها كانت تمتلك جسر (قنطرة) لربطها بكتف النشز المطل على الخندق، وبوابة سرية مطلة على النهر من جهتها الشرقية أعدت للطوارئ وهي على شكل ممر معقود يصل بين قمتها وساحل النهر الذي تطل عليه ومثل هذا الممر وجد في كالح نمرود ولقد كان يحيط فيها من جهاتها الجنوبية والغربية والشرقية خندق اصطناعي واسع وعميق مرصوف بالحجارة ويملأ بالماء من دجلة أثناء أوقات الشدائد والمحن ولقد ذكرت هذه القلعة في المصادر العربية والمعربة التي تحدثت عن تكريت فابن حوقل المتوفى 367هجري في (صورة الأرض) أو في (المسالك والممالك) ذكرها بقوله (منها الموضع المعروف بالقلعة وهو حصن ذو مساكن ومحال) وابن جبير مثلا ذكرها بقوله (ولها قلعة حصينة على الشط هي قصبتها المنيعة) وابن بطوطة ذكرها بقوله (ولها قلعة حصينة على الشط) وصفي الدين البغدادي في مراصد الاطلاع بقوله (تكريت بفتح التاء.. بلد مشهور... ولها قلعة حصينة احد جوانبها على دجلة) والحميري في الروض المعطار بقوله وهي قديمة كبيرة) وابن العبري في تاريخ مختصر الدول يقول عن هذه القلعة (كان الملوك يحرصون بحفظ هذه القلعة ولها آثار مدنيات توالت واندست عبر العهود) وجيبون في كتابه الرافدان يقول عنها (أنها قلعة قوية للعرب المستقلين) والسير واليس بدج يقول عنها (وخرائب القلعة التي تعلوا على المدينة بما يقرب من 100قدم ضخمة وكان الاهلون ينقلون منها الحجارة لمقاصد الأبناء... وهي قلعة عتيقة حصونها شاخصة) والواموسيل يقول

عنها(ان الحصن هذا كان في سالف الأزمان أعظم الحصون في بلاد ما بين النهرين) ولعل أقدم من ذكرها من البلدانيين هو الاصطخري المتوفى 346هجري الذي قال في مسالك الممالك (قلعة حصينة ليس بالعراق أحصن منها). وبعد هذا كله نقول انه إذا اريد تصور شكل قلعة تكريت فما على المتصور إلا معاينة بعض القلاع المتعاصرة معها في النشوء والارتقاء والتي مازالت قائمة مثل قلعة اربيل وتل قوينجق ومنطقة القصور والمعابد وكالح وكركميش وهيت وحلب وارابخا كركوك وموقع أبو ماريا في سنجار وياسين تبة وبكراوة في شهرزور إذ تتشابه هذه المواقع وموقع قلعة تكريت في وجود الخندق وفي وجود مصطبة في أساسها وفي كونها مغلفة الأبواب من الخارج بالأحجار المهندمة وأيضا في كونها تأخذ زاوية في تسوير المدينة الحاضنة لها وهي الهيئة الخاصة التي تلازم المواقع الآشورية بعامة وتميزها في الطراز المعماري عن غيرها. ولقد عمرت هذه القلعة أكثر من مرة منها التعمير الذي يذكره الواموسيل في انه حصل في عهد الاسكندر المقدوني إذ جاء في رحلة إلى الفرات ان الاسكندر جعل تكريت محاطة بأسوار ضخمة وجدد حصنها الذي يقع على ابعد حد من بلاد الجزيرة ومنها التعمير الذي يذكره ياقوت الحموي في انه حصل في زمن تسلط سابور بن اردشير إذ جاء في معجم البلدان للحموي ما نصه: (ولقد عمرت القلعة في زمن سابور بن اردشير لما نزل الهد وهي بلد قديم مقابل تكريت في البرية).

(4). **تاريخ ولادة صلاح الدين** : بخصوص تاريخ ولادة صلاح الدين، فعلى الرغم من وجود العدد الوافر من المراجع والمصادر، التي أرخت لفخر البيت الايوبي السلطان يوسف صلاح الدين إلا أن (اليوم وكذلك الشهر) الذي كان ولد فيه انما قد غفل عن نظر الاخباريين ، فبات غير مذكور من قبلهم ومن قبل الذين نقلوا منهم او رووا عنهم إذ أن كل الذي ورد عن ولادته قد اكتفى بذكر سنة الولادة دون الإشارة أو التطرق إلى يوم وشهر الولادة، حيث الوارد ان (إن ولادته كانت في سنة 532هجرية). وعليه ومن اجل معالجة هذا المطلب المعلوماتي، انطلاقا من أن المؤرخ هو الذي يأتي بقراءة مضافة للتاريخ فيها منفعة وجودة ، فأنني قد حشدت كل ما بالاستطاعة الحصول عليه من مراجع وشمرت عن خزين معلوماتي واستنفرت حصيلة مداركي في سبيل الوصول إلى غايتي المبتغاة والتي هي استخراج تاريخ مولده باليوم والشهر وهكذا وماهي إلا دورة واحدة لدولاب السعي والتحري والربط والاستنتاج في النظر والتثبت والموافقة والتحقق. حتى حققت بعون من الله سبحانه شيئا لعله يكون كشفا ثقافيا غير مسبوقا وتسجيل تاريخي غير مطروق ، وهو تحديد تاريخ ميلاد هذا السلطان باليوم والشهر اذ توصلت إلى: إن تاريخ ميلاده انما كان في يوم الخميس 30 ذو الحجة الموافق ليوم 8 أيلول سبتمبر 1138م. وإنني عندما أصل إلى هذا فأنني أكون قد اسهمت في إكمال تسطير تاريخ سيرته من خلال إظهاري لمعلومة غائرة وإتمامي لتاريخ منقوص. كما وأني عندما اعرضه فلأنه

يشرفني أن جعله أمام متناول الباحثين والدارسين من المهتمين والمعنيين لكي يأخذ مكانه الفكري ضمن سجل تاريخ هذا الفارس السلطان القائد وبذلك يستقيم القول: (إن السلطان صلاح الدين الذي توفي في دمشق يوم الأربعاء 3 مارس 1193، الموافق لليوم 27 من صفر سنة 589 هـ قد كانت ولادته في يوم الخميس 30 ذو الحجة الموافق ليوم 8 أيلول سبتمبر 1138م) ولقد كان الأساس الذي اعتمدته في كشفي هو فحوى الجملة التي ذكرها ابن خلكان في وفياته والتي تقول انه ولد في بقية سنة 523هـ اذ بمفاعلة كلمة (بقية) مع المراجع اللغوية ومع كتب استخراج التواريخ ايضا كتب المطابقة بين الهجري والميلادي كذلك كتب الحسابات الفلكية، قدرت ان احدد يوم الولادة والذي هو يشكل بقية سنة 532هـ وبذلك أكون قد اضفت لبنة جديدة في تاريخ السلطان

(5). **قلعة بعلبك:** وهي قلعة حصينة ، تقع أعلى مرتفعات سهل البقاع بمدينة بعلبك اللبنانية، أكثر الآثار الرومانية عظمة، متجذرة في التاريخ القديم، تعود بتاريخها إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، ألهمت الشعراء وأطمعت الفاتحين وجذبت الباحثين، يتعانق فيها الوحي الديني والهندسة في تناغم، أنشأها الفينيقيون في أوائل العام 2000 ق. م لمعبوداتهم وزينوها بالزخارف والنقوش تعبيراً عن إخلاصهم لآلهتهم، فبنوا فيها أول هيكل لعبادة الاله بعل، ومن هنا حصلت المدينة على اسمها، وأطلقوا عليها

الإغريق بعد احتلالها في العام 331 ق. م اسم هيليوبوليس أو مدينة الشمس، تحولت أبنيتها إلى أسواق وبيوت للسكن وفرشت أرضها بالفسيفساء الملونة والحياض المزخرفة. وتمّت إحاطتها بسور كبير من الحجارة الضخمة لزيادة قوتها ومناعتها، تحتوي على عدة معابد وهياكل ومنشآت عمرانية ضخمة منها: معبد أو هيكل جوبيتر من أجود الآثار الرومانية في العالم حفظا وأيضا مسجد إبراهيم الذي تم إنشاؤه في فترة الأيوبيين، وتم تسميته نسبة لنبي الله إبراهيم عليه السلام .

(6). دمشق: هي العاصمة السورية وهي أقدم مدينة مأهولة في العالم وأقدم عاصمة في التاريخ ضمت إلى لائحة التراث العالمي 1979، وهي تضم اليوم أكثر من مائة موقع أثري هام، وقد احتلت مكانة مرموقة في مجال العلم والثقافة والسياسة والفنون والأدب خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت عاصمة في مراحل وحضارات كثيرة في تاريخها الطويل . فيها تشم رائحة التاريخ، تسير معه، تدخل إلى أعماقه، من خلال أبوابها التي كانت تربط داخل المدينة بخارجها منتشرة على سورها المنيع المحيط بها ليحميها من الغرباء والغزاة. تستبقيك القلعة الممتدة على مستوى الأرض بخلاف بقية القلاع السورية لتأخذك إلى الأدراج والأبراج وتقرأ فيها تاريخ دمشق وأحيائها حتى العصر الحديث، أمامها يلفت انتباهك تمثال صلاح الدين الأيوبي ممتطياً جواده فاتحاً دمشق. تسير في أزقة دمشق لا تعرف

أين يوصلك الطريق، حتى تطرق باباً خشبياً قديماً تدخل منه إلى جنة حقيقية، إلى البحرة والنوفرة، إلى الياسمين والورد الجوري والحبق ورائحة القهوة، إلى البيت الدمشقي العريق ويتربع على عرش هذه البيوتات قصر العظم، مكتب عنبر، بيت نظام.. اشتهرت دمشق دوماً بصناعة الصابون والطيوب مما جعل لحماماتها أريجاً خاصاً، وتكاد لا تخلو حارة في دمشق من الحمامات التي ما يزال بعضها يستقبل الزوار السياح الراغبين بالاستحمام. ولطالما كانت القوافل التجارية القادمة عبر طريق الحرير الخالد تحط رحالها في خانات دمشق، تلك الخانات التي شكلت مركزاً لنقل الحضارات والثقافات وتبادل البضائع. تعبق دمشق بالقديم والقديم... ففيها ناعورة محيي الدين الأثرية أقدم ناعورة حتى الآن، وعدد كبير من الأبنية التاريخية والأثرية. وما تزال دمشق تحوي الكثير مما يلفت النظر ويستوقف البحث لقدم بعضها وعظمته، ولحداثة بعضها الآخر وأهميته.

(7) . **حطين:** قرية في فلسطين تقع إلى الغرب من مدينة طبرية، يتصل سهلها بسهل طبرية عبر فتحة طبيعية شديدة الانحدار. وكان السهلان معبرين طبيعيين للقوافل التجارية والجيوش على مر العصور. وفي سهل حطين دارت رحى المعركة الفاصلة التي قادها السلطان صلاح الدين في مواجهة الجيوش الصليبية المتعسكرة ضده في 25 ربيع الآخر سنة



583هـ/5 تموز سنة 1187م، ودمر بها القوة الحربية للوجود الفرنجي في المشرق

(8) . **طبرية:** تقع مدينة طبرية في الشمال الشرقي من فلسطين. والمدينة قائمة على شاطىء بحيرة طبرية الغربي، وعند حضيض الجليل الشرقي، إلى الجنوب من مصب نهر الأردن ولقد كان لموقعها الأرضي أهمية بالغة في النواحي الحربية والتجارية والتاريخية منذ نشأتها، اذ تؤكد الحقائق مدى أهميتها موقعاً دفاعياً كونها تمتلك قلعة منيعة مثلما كونها كانت محطة على طريق القوافل التجارية ما يعظم أهميتها .

(9). **عكا** : مدينة فلسطينية قديمة على ساحل البحر المتوسط شهد لها كل من زارها بالعظمة والمنعة، فعلى قول الإدريسي هي مدينة كبيرة واسعة الأرجاء ولها مرسى حسن وناسها أخلاط، وعلى قول ابن جبير عنها انها قاعدة من القواعد بالشام ومحط الجواري المنشآت في البحر كالأعلام، مرفأ كل سفينة والمشبهة في عظمتها بالقسطنطينية، مجمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من كل الآفاق، وعلى قول ياقوت الحموي عكا أحسن بلاد الساحل في أيامنا هذه وأعمرها وهكذا تدل الأقوال السابقة وكثير غيرها على أن عكا كانت ذات أهمية كبيرة، وهذا ما جعلها هدفاً للطامعين، ولقد كانت من أهم قواعد الإفرنج بالشام زمن الحروب الصليبية حيث سميت مملكة عكا. بعد ان احتلها الصليبيون في عام

1104م، وظلت تحت سيطرتهم حتى عام 1187م، حين استرجعها صلاح الدين الأيوبي.

(10) . **صور** : وهي مدينة مشهورة في اقليم الشام خصائص. خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمة كانت من ثغور المسلمين وهي مدينة حصينة مشرفة على البحر، داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها وهي حصينة جداً ركينة لا سبيل إليها إلا بالخذلان. وهي مدينة جليلة نفيسة بها صنائع ولهما خصائص . نزل عليها الإفرنج وحاصروها وضايقوها حتى نفدت أزوارهم وكان صاحب مصر الآمر قد أنفذ إليها أزواداً فعصفت الريح على الأسطول فردته إلى مصر فتعوقت عن الوصول إليها فلما سلموها وصل بعد ذلك بدون العشرة أيام وقد فات الأمر وسلمها أهلها بالأمان وخرجوا منها اعادها صلاح الدين بعد معركة القدس

(11) . **الرملة** : ذكرت مدينة الرملة عند الكثر من المؤرخين والجغرافيين، فقد ذكرها الأصطخري (ت346هـ) بقوله : إن الرملة هي مدينة فلسطين العظمى، ويليها بيت المقدس في الكبر، ووصف المقدسي (ت380هـ) ما فيها من الحصون والمساجد والخانات والحمامات في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، كما ذكرها كل من اليعقوبي (ت284هـ) في كتابه البلدان والبلاذري (ت279هـ) في فتوح البلدان وياقوت الحموي (ت627هـ)

في معجم البلدان. ولقد غدت في عهد العباسيين تابعة لولاية الشام. وحكمها الطولونيون مدة من الزمن، وفي عهد الإخشيديين غدت إمارة وحينما نشبت الحروب بين الفرنجة الصليبيين والمسلمين، احتل الفرنج مدينة الرملة سنة 493هـ/1099م، وكان أهلها قد خرجوا منها قبل الاحتلال، ثم استعادها المسلمون سنة 496هـ/1102م وقضوا على معظم من كان فيها من فرسان بغدوين الصليبي، ولكن الصليبيين احتلوها مرة أخرى، وبقيت في أيديهم إلى أن استردها المسلمون بعد معركة حطين سنة 583هـ/1187م التي قادها صلاح الدين الأيوبي، الذي دمّر قلعتها حتى لا يحتلها الفرنجة الصليبيون وهي عامرة

(12) . **الأسطول** : إبان الحروب الصليبية التي أعلنتها أوربا على الشرق الإسلامي وامتدت لقرنين من الزمان، تكررت حملات الإفرنج على سواحل مصر الأيوبية، وذلك في عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي عام 564هـ/ 1169م؛ حيث قام الإفرنج بحملة كبيرة على دمياط واحتلوها، وكان هذا كافيا لإقناع صلاح الدين الأيوبي بضرورة بناء أسطول قوي لمواجهتهم. وبناء على توجيهات القائد صلاح الدين بشأن إنشاء اسطول حربي لحماية أمن البحر الأحمر أوعز الملك العادل (حاكم مصر) إلى الصناع ببناء قطع الأسطول المنشأة في كل دور صناعة السفن في الفسطاط ودمياط والاسكندرية وإنشاء المدارس التي تعد الرجال في فن

الملاحة وخلال زمن قياسي تكامل الأسطول وعد مهياً للملمات. وكان الأسطول المصري في عهد من سبقه – العاضد العبيدي الفاطمي– عبارة عن بقايا عشر قطع بحرية فيها عشرة آلاف مقاتل، وكان لها ديوان يسمى بديوان الأسطول أو ديوان الجهاد. وبعد تأسيس الأسطول البحري الإسلامي عين صلاح الدين الأيوبي حسام الدين لؤلؤ أميرا للبحار ومنحه لقب مقدم الأسطول؛ حيث كان رئيسا عارفا بالريح والمجاديف والإرساء، وعلى دراية بمسالك البحر، واشتهر بحادث رد عدوان أرناط القائد الصليبي على البحر الأحمر وكان من المقدمين البحريين أيضا عبد السلام المغربي وبدران الفارسي، وعلى أسطول بيروت يعقوب الحلبي، وقد زودهم صلاح الدين بمخصصات من موارد فريضة الزكاة والمراكب الحكومية، واستخدم صلاح الدين في الأسطول عرب المغرب؛ نظرا لخبرتهم بسواحل العدو وموانئه، وخبرتهم ومهارتهم البحرية. وفي سنة 565هـ/1170م أغارت قوات صلاح الدين البحرية على طرطوس الساحلية التي كانت تحت سيطرة الصليبيين؛ مما أجبر بلدوين ملك القدس على طلب الصلح، فاضطر رايموند، أمير طرابلس إلى مهادنة صلاح الدين أيضا. وقد استطاعت قوات صلاح الدين البحرية غزو ميناء عكا في عام 575هـ/1179م، واستولت على عدد من مراكب العدو وانتصرت عليهم انتصارا ساحقا، وقد وصف صلاح الدين هذا النصر في كتابه إلى دار الخلافة في بغداد قائلا: إنه لم يعهد من الأسطول الإسلامي مثله في سالف الدهر.

(13). **الداوية والاسبثارية :** هما فرقتان يشابه عملهما عمل المرابطين من المسلمين فيهبون أنفسهم للجهاد ومراقبة الخصم بالحدود والثغور ، وقد كانت الفكرة الأصلية للانضمام إلى فرقهم في التطوع لمحاربة المسلمين (الحروب الصليبية – محمد العروسي – تونس – 1954).

المصادر والمراجع

1. الفتح القسي في الفتح القدسي / العماد الكاتب / القاهرة 1321هـ.
2. الروضتين في اخبار الدولتين– أبو شامة / القاهرة 1287هـ.
3. تاريخ الحروب الصليبية – رانسيمان ، ستيفن ترجمة أحمد غسان سبانو، نبيل الجيرودي – دمشق 1985م
4. صلاح الدين الأيوبي – جزئين – قدري قلعجي / بيروت / 1966.
5. النوادر السلطانية ، بهاء الدين أبن شداد ، القاهرة ، 1964.
6. مفرج الكروب في مناقب بني أيوب / أبن واصل / القاهرة ، 1957.
7. أيام صلاح الدين – عبد العزيز سيد الأهل – القاهرة.
8. تاريخ الحروب المقدسة. المجلد الأول. مكسيموس مونروند.1865م
9. صلاح الدين الأيوبي – عبد الحميد جودة السحار / القاهرة / 1975.
10. الحروب الصليبية – محمد العروسي – تونس ، 1954.
11. سياسة صلاح الدين/ دريد عبد القادر نوري / بغداد / 1969.
12. الناصر صلاح الدين – سعيد عبد الفتاح – القاهرة ، 1965.
13. القدس تاريخ وحضارة – عبلة المهتدى ، بيروت 2000 م.
14. تاريخ بيت المقدس من الفتح العمرى حتى نهاية العهد الأيوبي – محمد حافظ النقر – دار الرازى – الأردن 2003 م.

15. موسوعة التاريخ الإسلامي – أحمد شلبى – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة 15.



السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم : إبراهيم فاضل الناصري التكريتي

الصفة: مؤرخ واعلامي وكاتب

المواليد : تكريت / 1964م

المؤهلات الفكرية والمعرفية:

- عضو اتحاد المؤرخين العرب– بغداد
- عضو الاتحاد الدولي للمؤرخين
- عضو الهيئة الاستشارية للقصر الثقافي في تكريت
- عضو الهيئة العربية لكتابة تاريخ الانساب – بغداد

الكتب المطبوعة و المنشورة للمؤلف:

1. تكريت الخالدة عبر العصور، دار النقاء – بغداد، 1986م.
2. الإبانة والتبيين في مرقد ومزار الأربعين. بغداد، 1997م.
3. مدن عامرة لها تاريخ في وادي الرافدين العريق، دار دجلة 2019م
4. صلاح الدين الايوبي ومعارك الطريق إلى القدس، بغداد،1990م

5. مدن صلاح الدين اخبار تالدة واثار خالدة. دار امجد ، 2017م

6. تاريخ تكريت في عصور ما قبل الإسلام. دار رند– دمشق،2012م.

7. الفتح الإسلامي لمدينة تكريت. دار رند – دمشق، 2011م.

8. موسوعة التراث الثقافي لمدن محافظة صلاح الدين دمشق، 2011.

9. دليل الخارطة الاثرية لتكريت المدينة التاريخية. ط: القاهرة–2014/ طبعة عمان، دار المعتز 2019م

10. أعلام ورموز الصحافة والإعلام من التكريتيين خلال القرن العشرين. ط: القاهرة.2016م/ ط: دار الفا دوك – قسنطينة . الجزائر 2019م

12. جمهرة المؤرخين من مدن صلاح الدين.ط: دار تموز – دمشق.2012م./ ط، دار امجد – عمان2017

13. آرام تكريت. دار المشرق. دار المشرق – دهوك. 2013م.

14. المنصورة داحرة الصليبيين. القاهرة 2014م.

15. مدن داثرة ومواقع دارسة ، دار دجلة – عمان 2018

16. المدرسة الهمامية صرح حضاري زاهر يخلده موقع اثري داثر. دار المعتز – عمان 2018م

17. اثار واخبار الجالية التكريتية في الشام والجزيرة ، دار ابن النفيس– عمان 2019م

18. اخبار واثار الجالية التكريتية في البلاد المصرية. دار ابن النفيس – عمان، 2019

19. التعريف بالمدارس التكريتية في التراث الحضاري لبلاد الشام والعراق ومصر والسعودية ،ط: دار امجد – عمان 2018م

20. المدارس التكريتية في تاريخ الحضارة ، دار تموز –دمشق، 2011م

21. اخبار الحكماء الاولين في تاريخ علوم الاقدمين . دار ابن النفيس، عمان 2019م.

* مجموعة من الكتب التي هي قيد الطباعة والنشر منها:

1. الحقائق الجلية في تاريخ الفتوحات لبلاد اعالي دجلة والجزيرة

2. نزهة القلوب بتاريخ ملوك وممالك بني ايوب

3. البيوتات والاسر العلمية التكريتية في تراث البلدان العربية

4. مباحث في تأصيل الهوية للتالد من مدن القلاع الرافدينية

5. مدن تاريخية ومواقع حضارية في اعالي دجلة وشرقي الجزيرة

ملحق الخرائط والتخطيطات

معركة حطّين

ربيع الثاني ٥٨٣ هجــــــري

تموز ١١٨٣ ميـــــــلادي

بقيادة المظفر صلاح الدين الأيوبي

حطين
المظفر الدين كوكبري
جيش ريمون طرابلس
المظفر تقي الدين عمر
صلاح الدين الأيوبي
حطين
ارض المعركة

حصار القدس من قبل السلطان صلاح الدين الايوبي
والشروع في المفاوضات عام 583 هـ / 1187 م

اتفاقية الصلح :

الاتفاق على تسليم القدس دون قتال بين صلاح الدين الأيوبي والفرنجة.

- تسليم المدينة بأمان.
- كل رجل من الصليبيين يدفع عشرة دنانير
- المرأة تدفع خمسة دنانير
- الطفل يدفع دينار وفي رواية اخرى دينارين.
- أعفا صلاح الدين الكثير من الصليبيين من دفع الفدية.
- الاتفاق على أن يدفع باليان مبلغا قدره ثلاثون الف دينار عن سبعة آلاف شخص من الفرنجة.
- اشترط صلاح الدين ان تكون فترة الفداء اربعين يوما.

حصار المدينة من الناحية الشمالية

البطريرك هرقل

باليان ابلين

حصار المدينة من الناحية الغربية


Edessa
Mosul
Antioch
Aleppo
CYPRUS
Takreet
Mediterranean
Tiberias
Damascus
Baghdad
Sea
Acre
Haifa
KINGDOM OF
JERUSALEM
BATTLE
OF HATTIN
SYRIA
Jerusalem
Cairo
EGYPT
Red
Sea
The Kingdom of Jerusalem
and Saladin's Empire
in 1187 A.D.



سلطنة سلاجقة الروم
قونية
إمارة أرمينيا الصغرى
الرها
حران
إمارة أنطاكية
الإمبراطورية البيزنطية
كونتية طرابلس
دمشق
صور
عكا
حطين 1187
أرسوف 1191
القدس
الشرق الأدنى
1190

صلاح الدين الأيوبي

الدين ونشأته

أبرز أعماله

تحصين البلاد ضد الأعداء

اهتم بالعلم والعلماء

حرر القدس من الصليبيين

ملحق رقم 2

حملات الصليبيين المعاصرة للأيوبيين

في تاريخ الأمة فترات تأججت فيها الحروب بينها وبين أعدائها وخصومها ، منها ما استمرَّ فترةً قصيرة، ومنها ما امتد عقودًا طويلة، أو قرونًا. ومن الفترات التي شهدت حروبًا طويلة الأمد؛ فترة الحروب الصليبية التي ازمانها كانت على تعاصر مع حكم البيت الايوبي ومع وجودهم ونفوذهم في زمان زوال دولتهم.

وان الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية او الحروب الدينية هي اسم يطلق على مجموعة الحملات والحروب التي قامت بها أوروبا ضد عمق الامة واطرافها الحيوية في فترات معينة من المدة المحصورة ما بين أواخر القرن الحادي وبين الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي (1096 – 1291)، وكانت في ظاهرها حملات دينية وذلك لتحقيق اهدافها الخفية واهمها السيطرة على اجزاء من الأراض العربية والهيمنة على كل مقدراتها

وكانت هذه الحملات او الحروب تعتبر بعيدة المدى في الجانبين السياسي، والاقتصادي، ومثيرة الدافع في المحتويين الاجتماعي والديني، وبليغ الاثر في المجالين الحربي واللوجستي، كما وكانت تعد من القضايا الكونية والمنعطفات الكبرى في تاريخ البشرية. ولقد استمر بعضها الى ازماننا

المعاصرة . وهي عديدة مستمرة متعاقبة حتى سلسلها المؤرخون المحدثون حسب التالي :

الحملة الأولى: (1096–1099) هي حملة عسكرية شنها الصليبيون تلبية للدعوة التي أطلقها البابا أوربان الثاني سنة 1095م في كليرمونت جنوب فرنسا من أجل تخليص القدس وعموم الأراضي المقدسة من أيدي المسلمين شارك في الحملة عدد من القادة أبرزهم جودفري دوق اللورين، وريموند دوق الناربون، وبوهيموند كونت تورانتو، وروبرت دوق النورماندي وروبرت الثاني كونت فلاندر .وقادها غودفري دي بويون الرابع

الحملة الثانية: (1147 – 1149م) لقد دعا إلى الحملة المعروفة بالثانية البابا إيجين الثالث، وكانت تعد أول حملة يقودها ملوك أوروبا، وهم لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث ملك ألمانيا، وبمساعدة عدد من نبلاء أوروبا .

الحملة الثالثة : (1189 – 1192) دعا اليها البابا غريغوريوس الثامن ، عام 1187 وقادها ملك فرنسا فيليب اوغست الثاني ، وملك انجلترايتشارد الاول الذي كان يلقب برتشارد قلب الاسد ، وملك الجرمان (المانيا) فريدريك الاول بربااروسا. هدفت الحملة إلى إعادة السيطرة على الأرض المقدسة بعد ان حررها صلاح الدين واعادها لاحضان الدولة العربية الإسلامية.

الحملــة الرابعــة : (1202 – 1204) وهـي الحملـة التـي دعـا اليهـا البابـا اينوقنتيوس الثالث في 1202.وقد كان هدفها الأول هو احتلال القدس عن طريق غزو مصر.

الحملة الخامسة : (1228 – 1229) دعا اليها البابا اينوشنتيوس الثالث في عام 1213 وقادها فريدريك الثاني و والكاردينال بلاجيو جالفانى نائب البابا.وكانت محاولة من أوروبا لإعادة السيطرة على القدس وبقية الأراضـي المقدسـة عبـر السيطرة علـى الدولـة الايوبيـة القويـة فـي مصـر. إذ فـي سـنة 1213 استأنف البابا اينوسنت الثالث الدعوة إلى حملة صليبية إلى الشرق

الحملـة السادسـة : (1248) دعـا اليهـا وقادهـا الامبراطـور فريـدريك الثـاني هوهنشتاوفن الالماني.وجاءت كمحاولة لإعادة السيطرة علـى القدس. بدأت بعد سبع سنوات من فشل الحملة الخامسة بعد أن استطاع ملك مصر – الكامل إيقاف الصليبيين وإفشال حملتهم .

الحملة السابعة : (1249) أطلقها وقادها لويس التاسع ملك فرنسا. وكانت حملة صليبية قام بها الصليبيون في عام 1249 ضد مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا في عهد السلطان الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب والذي توفى أثناء احتلال الصليبيين لثغر دمياط في شمال مصر. بدأت الحملة باستيلاء الصليبيين على مدينة دمياط ثم حاولوا الزحف نحو القاهرة، إلا أن قـوات المماليـك اسـتطاعت إلحـاق الهزيمـة بهـم عنـد مدينـة المنصـورة ثـم

فارسكور وآلت الحملة للفشل وتم أسر الملك لويس التاسع وانتهت برحيلهم عن مصر.

الحملة الثامنة : (1270)) وهي الحملة التي دعا اليها الملك لويس التاسع ملك فرنسا في عام 1267 وقادها في عام 1249م.

الحملة التاسعة : (1271 – 1272) وهي الحملة التي قادها الأمير ادوارد ولقد كانت متعاصرة مع الممالك الايوبية الصغيرة

محتويات الكتاب

الرمز صلاح الدين وركب الفاتحين







+962797135504

+962780080648

 Dar ibn alnafees

 dar_ibnalnafees@yahoo.com

 alnafees02@gmail.com